أخبار اليوم
قطاع الثقافة

مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة

إحسان عبد القدوس

# يا ابنتي لا تحيريني معك

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

إحسان عبد القدوس

# يا ابنتى .. لا تحيرينى معك

# يا ابنتى
# لا تحيرينى معك

لم أكتب هذه المجموعة على أنها مجموعة قصص ورغم ذلك فهى قصص .. وقد كتبتها على أنها حوار بين الجيل الجديد والجيل القديم حول نواحى الحياة.. كما ينحصر الحوار حول النواحى السياسية بين الشاب والعجوز فيما أكتبه تحت عنوان «على مقهى فى الشارع السياسى » وينشر فى مجلة أكتوبر.. فإن هذا الحوار يدور بين الأم وابنتها حول نواحى الحياة الاجتماعية التى تهم المرأة .

والحوار هو عرض ومناقشة موضوع.. وكل

موضوع يعتبر قصة.. أى أن هذه المجموعة رغم أنها لم تكتب على أنها قصص إلا أنها فى الواقع قصص.. أو هى نوع جديد من العرض القصصى أدخل به إلى الأدب العربى.. ويمكن ببساطة وسهولة إعادة كتابة كل مناقشة من هذه المناقشات التى يعرضها الحوار فى شكل قصة كاملة بالسياق والأسلوب التقليدى لكتابة القصة .

وأنا عندما أتعرض للحوار بين الجيل الجديد والجيل القديم اعتقد انه مهما وصل الخلاف بينهما فإن الجذور واحدة.. فمهما اختلفت البنت مع الأم أو الابن مع الأب فى أسلوب الحياة وفى أسس التفكير وفى الآراء التى يصلون إليها ، فإنهما مرتبطان دائما بجذور واحدة.. وهى جذور ثابتة فى أصل المجتمع.. أى أن المجتمع مهما تطور يبقى مرتبطا بالجذور التى تكوَّن ونما بها.

وهذا ما دفعنى - مثلا - أن أكرر التعبير عن



رأيى فى أن الشاب مهما تطورت آراؤه ونظرته إلى المرأة فإنه إذا أحب امرأة جذبته عواطفه إلى جذوره..

وأصبحت آراؤه ونظرته إلى المرأة التى يحبها هى نفس نظرة وآراء ابيه وجده وجد جده.. أى أن الشاب - مثلا — قد يكون مقتنعا بأن من حق الفتاة أن ترقص ولكنه إذا أحب هذه الفتاة أصبح كجدة ومنعها من الرقص.. مادام الشاب يعيش فى امتداد المجتمع الذى كان جده يعيشه .

وربما كان الانفصال التام بين الجيلين يحدث إذا تغير المجتمع الذى ينشأ وينمو فيه كل منهما.. أى إذا نما كل منهما بجذور مختلفة.. وهذا ما يحدث بين أجيال المهاجرين.. فالمصرى الذى يهاجر إلى أمريكا أو إلى استراليا يبقى هناك مصريا بعقليته وأسلوبه فى الحياة لأن جذوره نبتت فى المجتمع المصرى..

ولكن ابنه وعلى الأخص ابن ابنه ينشأ

وينمو فى مجتمع آخر أى بجذور مختلفة عن الجذور التى يمتد إليها الأب.. لذلك — وكما شاهدت بنفسى ودرست — فإن انفصال الشخصية يعتبر كاملاً بين الجيلين فى مجتمعات المهاجرين خصوصا انفصال شخصية البنت عن شخصية الأم ..

ومهما كان واقع هذا التحليل فإنى لم أتعمد التقيد به فى هذه المجموعة..

إنما « يا ابنتى لا تحيرينى معك » تجمع انطلاقة حرة فيما أتخيله من آراء يمكن أن يعبر عنها جيل الابنة وجيل الأم حول كل ما يخطر على حياة المرأة.. وما يخطر على خيالى ..

**إحسان عبد القدوس**

قالت الابنة فى بساطة.

— ماما.. سأدعو عصام ليذاكر معى هنا فى البيت .

ورفعت الأم حاجبيها فى دهشة وقالت :

— من هو عصام ؟

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— انه زميلى .

وقالت الأم فى حدة :

— ان هناك ألف زميل. فمن يكون عصام هذا بينهم ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى لوم

— انه صديقى .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تحاول أن تكشف سرها :

— الى ... اسمه صـديقك. وليس مجرد زميلك.. واحكى لى.. أى نوع من الصداقة هذه ؟

وسحبت الابنة ابتسامتها وقالت وهى تزفر أنفاسها فى غيظ :

— ماما.. لا تبدئى التحقيق معى.. وليست هنـاك حكايـة احكيها لك.. انه زميل تعـودت أن ألقاه فى الكلية. ونناقش المحـاضرات معا إلى ان اصبحنا أصدقاء.. صداقة زمالة.

وقالت الأم وكأنها توجه الاتهام :

— وطبعا لم تلتقيا أبدا خارج الكلية .

وقالت الابنة فى ضيق :

— لا..

وعادت الأم تقول ساخرة :

وطبعاً كل الكلام بينكما عن المحاضرات .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى تحد.

— لا.. أقل الكلام عن المحاضرات واغلبه عن الاسـاتذة وسخافات الطلبة والطالبات.. وأحيانا عن الاباء والامهات.. نتسلى .

وقالت الأم محتدة :

— وتريدين دعوته للبيت لتستكملا التسلية ؟

وقالت الابنة وهى تلتقط انفاسها كأنها تستجير بالله ،

— يـا مامـا حرام عليك.. انـى أدعوه ليسـاعدنى فى المذاكـرة.. أن ما افهمه فى يومين أفهمه معه فى ساعة.. وما احفظه فى أسبوع أحفظه معه فى يوم.. انـه فعلا يساعدنى.. انـه من الطلبة المتفـوقين.. من الأوائل. وقـالت الأم كأنها تحسم الموضوع .

— الناس لن تصدق حكاية المذاكرة. وهم يرونه يدخل ويخرج من بيتنا ..

وقالت الابنة وصوتها يرتفع فى غيظ :

— افـرضى انـه أستـاذ يعطينى دروسـا خصوصـية مـاذا كـان سـيقول النـاس ؟

وقالت الأم :

— سيقـولون انـه أستـاذ.. أما صـديقك هـذا فهو تلميـذ.. ولعب عيال..

وقالت الابنة صارخة :

— يـاامى أنت تعـرفين أن كثيراً من الأسـاتـذة لهم عـلاقـات مع الطـالبات. وأنـا ليس بينى وبين عصـام أى عـلاقة سـوى الـزمالـة والصداقة .

وقالت الأم فى حسم :

— الناس تتكلم عن الطلبة ولا تتكلم عن الأساتذة.. وأنا لا أريد أن اعرضك وأعرض نفسى لكلام الناس .

وقالت الابنة فى عصبية :

— الناس تتكلم حتى عن الملائكة.. انهم لم يرحموا ستنا مريم من الكلام.. لاتكونى رجعية يا مامـا.. كل ما أريده هوأن اضمن النجاح فى الامتحان.. وقالت الأم وهى ترفع صوتها هى الأخرى :

— والله عال.. شرط النجـاح الآن هو أن تأتـى البنت بولـد فى بيتها ويغلقا على نفسيهما البـاب.. للمذاكرة طبعا.. وافـرضى انى قبلت هذا الكلام.. هل يقبله أبوك ؟

وصرخت الابنة .

— ولماذا قبل أبى أن تـأتى عـائشـة إلى البيت لتذاكر مع أخى محمود وقالت الأم فى زهق:

— لا أنا ولا أبـوك مسئولان عـن عائشـة ولكننا مسئـولان عنك.. وارتفـع صوت الابنـة وهى تضرب المائدة امامها بكتبها .

— ان مـا تقبليـه لبنات النـاس يجب أن تقبليـه لابنتك.. والنـاس كلهـا تقـول أن عـائشـة تحب محمـود.. فلماذا تتركين النـاس تتكلم عـن عـائشـة

وتخافين على أنا من كلام الناس ؟ لماذا لم تمنعى عائشة من المذاكرة مع محمود كما تريدين منعى من المذاكرة مع عصام؟ لماذا يكون من حق أخى أن يأتى بصديقته إلى البيت وليس من حقى أن أدعو صديقى ؟ لماذا تفترضين أن صداقة أخى وعائشة صداقة بريئة نظيفة وتسمحين لهما بأن يغلقا باب حجرة المذاكرة ولا تفترضين نفس الفرض بالنسبة لصداقتى مع عصام ؟ لماذا؟

وصرخت الأم تقاطعها :

— كفاية.. البنت شيء والولد شيء آخر ان اخاك محمود يسهر خارج البيت إلى ما بعد منتصف الليل.. يذاكر مع أصدقائه.. هل تريدين أنت أيضا أن تبقى خارج البيت إلى ما بعد منتصف الليل؟ ثم انى لو كنت أم عائشة لما سمحت لها بأن تذاكر مع محمود فى بيته.. وارحمينى من دوشتك.. أوجعت دماغى .

وقامت الأم وخرجت من الغرفة وهى تدق على الأرض بقدميها فى غل.

وسقطت الابنة على المقعد العريض وهى تهمس لنفسها :

— سأعرف كيف اتصرف ..

عادت الابنة من الجامعة وجلست أمام أمها وقالت وبين عينيها نظرات جادة :

— ماما .. لقد عودتنى على أن أكون صريحة معك .. ما سأقوله لك الآن لست مضطرة إلى قوله .. ولكننى فضلت أن أكون صريحة ..

ورفعت الأم إلى ابنتها عينين ضارعتين كأنها تتوسل إليها الا تصدمها بمصيبة وقالت وكأنها تتنهد :

— خير يا ابنتى ..

وقالت الابنة كأنها تعلن آخر الأنباء :

— لقد سبق أن طلبت أن أدعو زميلى عصام



ليذاكر معى هنا فى البيت .. ولم توافقى .. ولذلك قررت أن أذهب أنا إليه معه فى بيته ..

وخبطت الأم على صدرها وصرخت :

— يا مصيبتى .. كيف تذهبين إلى شاب فى بيته حتى ولو كان بحجة المذاكرة .. لو عرف أبوك لذبحك وذبحنى معك ..

وقالت الابنة فى هدوء :

— ان عائشة تأتى إلى هنا وتذاكر مع أخى فى البيت ..

وعادت الأم تصرخ :

— قلت لك : إننى لست أم عائشة حتى أكون مسئولة عنها ..

وقالت الابنة وهى تبتسم ساخرة :

— المسألة ليست مسألة مسئولية ولكنها مسألة مبادىء وتقاليد اجتماعية وقد وافقت أنت وأبى على أن تذاكر عائشة مع أخى هنا فى البيت فأصبح من حقى أن أعيش بنفس المبادىء والتقاليد وأذاكر مع عصام فى بيته ..

ورفعت الأم يديها فوق رأسها كأنها تهم بأن تولول وقالت :

— يا ابنتى حرام عليك .. ارحمينى من الجنون .. قلت لك لايمكن .. مستحيل ..

وقالت الابنة وهى لا تزال هادئة :

— يا أمى.. يا أغلى أم.. كان يمكن الا اصارحك.. كان يمكن أن اذهب إلى عصام فى بيته بعد أن اقول لك انى ذاهبة إلى الجامعة أو إلى صديقتى فوزية.. أنت تعلمين أن لا شيء يمكن أن يمنع البنت عما تريد.. لاتنسى أنك كنت بنتا.

وسكتت الأم برهة كأنها تستعيد أنفاسها وقالت :

— عندما كنت بنتا لم أفكر أن أذاكر مع شاب فى بيتى ولا فى بيته .

وابتسمت الابنة ابتسامة كبيرة وقالت :

— لأنك لم تدخلى الجامعة .

وقالت الأم وكأنها لم تسمع تعليق ابنتها .

— ثم من أدرانى كيف يعيش صديقك فى بيته .

وقالت الابنة وقد لمعت عيناها كأنها أوشكت على تحقيق النصر .

— انه يعيش مع عائلته طبعا.. أبوه وأمه وله أختان أحداهما فى الجامعة.. كلية التجارة.. والثانية فى الثانوى.

وقالت الأم وعيناها تائهتان فى الحيرة :

— ولكنى لا أعرف أمه.. ولا أعرف أحدا من هذه العائلة ولا حتى سمعت عن أحد منهم .

وقالت الابنة .

— انك أيضا لا تعرفين أحدا من عائلة عائشة صديقة أخى..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى امتعاض:

— ان أمها لم تطلب التعرف بى بل انها لم تسأل عنها فى التليفون وهى هنا.. ومن يدرى.. ربما كانت عائشة تأتى إلينا دون أن يعلم أهلها.

وقالت الابنة معترضة .

— لا ياماما.. كل أهلها يعلمون انها تذاكر مع أخى.. وأمها سيدة متحررة.. مودرن .

وقالت الأم فى حدة .

—التحرر ليس معناه الا تعلم أين ابنتها..

وقالت الابنة ساخرة.

— وليس معناه أن تتبع الأم ابنتها كأنها عسكرى بوليس.. وسكتت الأم برهة ثم قالت كأنها اتخذت قرارها الأخير .

— اسمعى.. إذا كنت تريدين أن تذاكرى مع عصام فيجب أن أتعرف على أمه وعائلته..

وقالت الابنة وكأنها فوجئت.



— كيف.. كيف تتعرفين على عائلته.

وقالت الأم فى عزم :

— دعيه يأتى مع أمه لزيارتنا .

وضحكت الابنة ضحكة سريعة وقالت.

— ياماما غير معقول.. كأنك تطلبين منه أن يأتى مع أمه ليخطبنى. الموضوع ليس موضوع زواج انه موضوع الامتحان والمذاكرة.. وفرق كبير بين أن يأتى ليتزوجنى أو يأتى ليذاكر معى.

وقالت الأم فى حدة :

— المهم يجب أن أعرف عائلته.. ان صداقة الاولاد يجب أن تصحبها صداقة العائلات.

وقالت الابنة وكأنها استمعت إلى حكمة :

— هذا صحيح يا أمى.. يجب أن نتعارف عائليا ما دمنا تعارفنا شخصيا.. ولكنى لا استطيع أن أطلب من عصام أن يأتى بأمه لزيارتنا .انه هو نفسه سيتصور انى أطلب منه أن يأتى ليخطبنى .

وقالت الأم وهى تتنهد فى زهق :

— وما الحل ؟

وقالت الابنة :

— الحل هو أن أذهب لأذاكر معه فى بيتهم وتتصلى بى هناك بالتليفون لتطمئنى على ولا شك أن أمه سترد عليك.. أو أنى استطيع أن أقول له انك تريدين أن تكلمى أمه لتشكريها على استضافتها لى..وبذلك تتعارفان ..

وسرحت الأم مع أفكارها برهة ثم قالت كأنها قررت أن تقدم على المخاطرة :

— اسمعى .. ليأت هو ليذاكر معك هنا ..

وصاحت الابنة فى فرح :

— صحيح يا ماما ؟

وقالت الأم وليس على وجهها فرحة :

— الصحيح هو ما يوافق عليه أبوك ..
قالت البنت فى زهق :
— ماما هل تحدثت مع بابا عن دعوة عصام ليذاكر معى ..
وقالت الأم ووجهها متجهم :
— لا ..
وقالت البنت فى سخط :
— لماذا .. لقد وعدتنى .. إنى أريد أن أنتهى من هذا الموضوع اليوم ..
وقالت الأم وهى تتنهد كأنها تستجير بالله :
— كان هناك موضوع أهم ..
وقالت البنت فى دهشة :
— ما هو الأهم ..
وقالت الأم وهى تهز رأسها ساخطة :
— البنطلون البلوجينز ..
وقالت البنت وهى أشد دهشة :
— ماله البلوجينز ..
وقالت الأم وهى تزفر أنفاس السخط :
— لقد رآك فى البنطلون الجديد وهو يريدنى أن أقول لك انه ممنوع .. ممنوع لبس هذا البنطلون .. انه فى نظره أوقح من المينى جيب .. انه يظهر تفاصيل نصفك الأسفل بشكل مثير ..

وصرخت البنت فى احتجاج :
— انه بنطلون يغطى كل قطعة منى ، ماذا يريد أكثر من ذلك ..
المطلوب هو تغطية اللحم وقد غطيت لحمى كله..
كل البنات يرتدين البلوجينز ..
وقالت الأم مبتسمة ابتسامة ساخرة :



— المهم كيف تغطين لحمك .. أحيانا تكون التغطية أوقح من العرى ..
وقالت الابنة وهى تقلب شفتيها فى قرف :
— إن أبى كبقية الرجال .. لا ينظر إلى المرأة إلا بعين واحدة .. عين الجنس .. المرأة ليست سوى قطعة من اللحم ..
وقالت الأم فى هدوء :
— اذن فاعذريه مادام كبقية الرجال ..
وقالت البنت فى ثورة :
— انه كبقية رجال الجيل القديم .. جيلنا لا يرى فى البلوجينز أى اثارة واسالى أخى ..
وقالت الأم ساخرة :
— أنا متأكدة أن أخاك كأبيك فى كل ما يخصك .. انه يسمح بالبلوجينز لأية فتاة إلا أخته ..
وقالت البنت :
— ان صديقته عائشة كل يوم فى بنطلون ..
وقالت الأم ساخرة :
— لأنه لم يتزوجها بعد ..
وسكتت البنت برهة ثم انطلقت قائلة :
— ماما .. عندى فكرة .. ما رأيك لو لبست مع البنطلون الجينز طرحة بيضاء تغطى رأسى وكتفى كما تفعل البنات المتدينات .. أظن أن هذا سيرضى بابا ويجعله يغفر للبلوجينز .. سأكون أمامه فى منتهى الحشمة ..

وضحكت الأم وقالت :
— يا بنتى هذه نكتة سيضحك عليها كل الناس لو رأوك بالطرحة فوق البلوجينز ..
وصاحت البنت :
— انى أقبل أن أكون نكتة عن أن تعودوا بى إلى

عصر الحريم وأكــون عبــدة للــرجل يفــرض على رأيــه.. البسى وماتلبسيش.. أخرجى وما تخرجيش.. حتى لو كان هذا الرجل أبى .
وقالت الأم وهى تشد انفاسها فى ضيق .
— يـا ابنتى المثل العامى يقـول : كل ما يعجبك والبس مـا يعجب الناس.. وأقرب الناس اليك هو أبوك فالبسى ما يعجبه.
وصرخت البنت.
— مالى ومـال الناس.. اننـا فى عصر الحرية.. هل تعـرفين حقوق البنت والـولد فى الـدول المتقدمة.. فى أمـريكا وفى بـريطانيـا وحتى فى استراليـا.. ان البنت من حقها أن تترك بيت العـائلـة عندمـا تصل إلى الســادسة عشرة من عمـرهـا.. لا أحـد يستطيع أن يقيـد حـريتهـا والقـانون معهـا والمجتمع معها.. واحمدوا ربنـا لأنى لم أفكر بعـد فى ترك البيت .
وقالت الأم كأنها تسخر من عقلية ابنتها :
— ان البنت هنـاك تترك بيت العائلة لأنها تستطيـع أن تعتمد على نفسهـا.. تستطيع ان تعمل وتكسب وتستغنى عن دخل أبيها وأمهـا.. أرينا شطارتك واعملى واكسبى .
وقالت البنت وهى ترد على سخرية أمها .
— ان الحرية لها طـريق اخر هنـا.. انى استطيع أن آخـذ بنطلون معى وألبسه فى بيت صديقتى هدى.. ولا مين سمع ولا مين درى .
وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها نظرة جادة :
— قولى لى يابنتى.. لماذا لا ترتدين هذا البنطلون عندما تذهبين إلى الجامعة .
وترددت البنت قليلا ثم قالـت وهى تدير عينيها بعيدا عن أمها.
— لم يخطر على بالى .
وقالت الأم فى جدية:
— كونى صريحة مع أمـك.. انك لا تـذهبين إلى



الجامعة بهذا البنطلون لأنك تخافين من كلام وتعليقات الطلبة. أى أن فى هذا البنطلـون شيئاً غلطاً.. شيئـاً مثيراً.. أى ان أباك على حق.. وكما تعملين حسابا للطلبة اعملى حسابا لأبيك .
وقالت البنت صارخة :
— سأذهب إلى الجامعـة غـداً بالبلـوجينـز حتى اقنعكم بحقى فى حريتى .
وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها مشفقة .
— لاأظن انك جادة فيما تقولين .
وضعف صوت البنت وقالت كأنها خجلة من نفسها.
— ياماما الجامعة حاجة وبعيد عن الجامعة حاجة تانية.. مجتمع تانى .
وقالت الأم وهى تشد البنت إليها فى حنان :
— يا ابنتى أريحينى وأريحى أباك..
وقالت البنت وهى تحنى رأسها على صدر أمها .
— وهل تـريحوننى انتم وتسمحــون لى بان أذاكـر مع عصـام.
وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة كبيرة .
— اعدك..
ثم قامت الأم ودخلت المطبخ وجرت البنت وفتحت الكتاب..
قالت الأم فرحة وكأنها اكتشفت اكتشافا رائعا .
— اسمعى يا ابنتى.. لقـد وجدت الـوسيلة التى يمكننا بها اقنـاع والدك بأن يسمح لصـديقك عصام بأن يأتى ويذاكر معك هنا ..
وقالت الابنة فى فتور :
— خير يا ماما..
وقالت الأم فى حماس :
— نقدمه على انه صديق أخيك ..
وقالت الابنة فى دهشة :

— ولكنه ليس صديق أخى إنه صديقى أنا ..

وقالت الأم وهى لاتزال فى حماسها :

— أعرف انه صديقك أنت ولكنى أريد أن يطمئن أبوك ..

وصاحت الابنة فى عصبية

— لا يمكن أن أطمئن أبى بأن أكذب عليه .. لا تحرضينى على الكذب أنت تعرفين أنى لا أحب الكذب ولم أكذب أبدا وأبى يجب أن يعرف كل شىء .

وقالت الأم ساخرة

— لا يا شيخة .. أبوك يعرف كل شىء .. يعرف انك منذ اسبوعين عندما كان هو فى الاسكندرية خرجت مع فوزية وأخيها وشلة من البنات والأولاد ورقصتم حتى الساعة الواحدة صباحا .. لماذا لم تقولى له حتى يعرف كل شىء .

وأدارت الابنة وجهها كأنها لا تريد ان تسمع هذا الكلام وقالت

— لماذا لم تقولى له أنت .. أنا لم أخرج ولا أسهر إلا بموافقتك .

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها كأنها تعانى الندم

— لقد قلت له : إنك ذهبت إلى عيد ميلاد فوزية ..

وقالت الابنة فى صوت خفيض :

— وأنا أيضا قلت له انى ذهبت إلى عيد ميلاد فوزية .. لقد كان عيد ميلادها فعلا ..

وقالت الأم ساخرة :

— ولكنك لم تقولى له ماذا جرى فى عيد ميلاد ستنا فوزية .. لم تقولى له أنك قضيت الليل حتى الواحدة صباحا ترقصين فى محل عام ولم تقولى له أنك صفعت الواد محمود بالقلم لأنه حاول أن يقبلك وهو يرقص معك . حاول أن يقبلك من شفتيك وطبعا لو انه اكتفى بأن يقبلك فوق عنقك لما احتجت لصفعه .

وصاحت الابنة



— يا ماما لا داعى لكل هذا الكلام .. ليس المفروض أن أقول لبابا كل ما أقوله لك

وقالت الأم ساخرة

— لماذا .. انك تقولين انه يجب أن يعرف كل شىء

وقالت الابنة فى سخط

— يا ماما .. يا حبيبتى .. أنت تعلمين ان ما يقال للأم لا يقال للأب خصوصا بالنسبة للبنت أنت بطبيعتك كامرأة تقدرين ما أقوله وتعذرينى ولكن نفس الكلام لايستطيع الأب أن يقدره لأنه كلام يجرحه هل كنت تريدين أن أقول لبابا إن محمود حاول أن يقبلنى . ماذا كان يفعل كان يجن وقد يقرر ان ينزل إلى محمود ويضربه علقة أو ربما ضربنى أنا هذه العلقة أنى صريحة صادقة مع بابا ولكنى حريصة على الا اجرحه بصراحتى ورغم ذلك لو انه كان قد عرف حكاية محمود وحكاية سهرى للساعة الواحدة لاعترفت وما كذبت عليه وأنا راضية عن نفسى لأنى إذا كنت قد اخفيت عن بابا فإنى لا أخفى عنك شيئا أبدا .. وأنت تعلمين ..

ومدت الأم ذراعيها وضمت ابنتها إلى صدرها وهى تقول

اعلم يا ابنتى ان أكثر ما يطمئننى واكثر ما أعتز به هو انى واثقة انك لا تخفين عنى شيئا .. وأحس دائما بأننا لسنا أما وابنتها فحسب ولكننا أيضا أصدقاء ..

وقالت الابنة وهى تقبل أمها قبلة سريعة

— أنت أعز صديقة لى يا أمى ولكنك أحيانا تقفين ضدى كما تقفين الآن .

وقالت الأم كأنها تنفى تهمة

— أبدا .. أنا لا أقف ضدك ولكنى أخطط معك .. وأعتقد أن الخطة الأخيرة هى التى ستحقق النصر لك ولى ..

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى يأس

— أى خطة ؟

وقالت الأم وعيناها تلمعان كأنها تعرض خطة خطيرة

— اسمعي .. تصحبين صديقك عصام إلى كلية الهندسة وتلتقين بأخيك محمود كأنك التقيت به صدفة .. تنتظرين أخاك ومعك عصام إلى أن يمر بك ليعود معك إلى البيت .. وتقدمين أحدهما للآخر .. ثم تحدثين أخاك عن عبقرية عصام وأنك تريدين أن يساعدك فى المذاكرة.. و .. وقاطعت الابنة أمها صارخة

— يا ماما حرام عليك .. هذا كلام زمان .. وزمان لم يكن من حقك أن يكون لك صديق إلا إذا كان صديق أخيك وصديق العائلة اليوم حياة أخرى ومجتمع آخر البنت التى تدخل الجامعة وتعمل فى كل المهن والوظائف وتستطيع أن تكون وزيرة ورئيسة مجلس إدارة .. هذه البنت أصبح من حقها أن يكون لها أصدقاء كما أن لها زملاء .. وعصام صديقى وليس صديقى أخى .. ويجب أن أقدمه وأن تقبلوه على أنه صديقى أنا .

وصرخت الأم ردا على صراخ ابنتها .

— إلى الآن لا أحد يصدق أن هناك صداقة يمكن أن تقوم بين ولد وبنت والجيل الجديد كالجيل القديم يؤمن بأنه لا يجتمع رجل وامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان .

وقالت الابنة وهى تضحك ساخرة :

— ان الشيطان أصبح كسيحا على ايامنا.. لاننا نرفض الاختباء. نرفض أن نعيش فى السر كما كنتم على أيامكم. الشيطان ينفرد بالرجل والمرأة عندما يختبئان وراء الجدران ولكنه لا يستطيع أن يقترب منهما وهما يعيشان فى المجتمع بصراحة.. يعيشان فى الهواء الطلق.. وعلى كل حال لن اعتمد عليك وسأعرف كيف اتصرف .

وقالت الأم فى جزع

— ماذا ستفعلين ؟

وقالت الابنة فى ثقة



— سأطلب أنا من بابا أن يسمح لعصام بأن يذاكر معى وأنا واثقة أن بابا يفهمنى أكثر مما تفهميننى ..وسقطت الأم على المقعد كأنها انهارت وهى تهمس

— ارينى شطارتك.

قالت الابنة وبين شفتيها ابتسامة فرحة .

- بابا وافق على أن أدعو عصام ليذاكر معى.

وقالت الأم فى برود.

- أعرف..

وقالت الابنة فى دهشة

—لماذا لم تقولى لى ما دمت تعرفين ؟

وقالت الأم وهى لا تزال فى برودها

— لأنك فضلت أن تطلبى الموافقة من أبيك بنفسك ولأنى كنت أفضل الا يوافق..

وقالت الابنة فى فرحة الانتصار على أمها :

— لماذا يا أمى ؟

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها :

—لأنى كما قلت لك لا أعرف صديقك هذا ولا أعرف أمه .

وقالت الابنة وهى تهز رأسها كأنها تأسف على عقلية أمها.

— بابا أيضا لا يعرفه ولا يعرف أباه.. وقد سألنى كثيرا عن أب عصام وأنا لا أعرف عن أبيه شيئا إلا اسمه ووظيفته ورغم ذلك وافق بابا.. لاثقة فى عصام وفى أبيه.. بل ثقة فى أنا

وقالت الأم فى حدة

— الثقة ليس معناها أن نتركك لشاب لا نعرف أصله وفصله

وقالت الابنة

— يا أمى انك لا تتركيني لأحد وأنا لا أترك

نفسي لأحد.. ثم أن الأصل والفصل لم يعد لهما قيمة زمـان.. لم تعد شخصية الـولد والبنت تقـدر بتقدير قيمـة العائلـة أو بشخصية الأم والأب. أن أولاد جيلنـا أصبح لكل منهم شخصيته الخاصـة القائمـة بذاتها وغالبـا ما تختلف عن شخصيـة الأب والأم.. اننا نعيش دنيـا جديـدة ومجتمعا جـديدا يفرض علينا تقاليـد جديـدة.. أنا لا أعيش الحيـاة التي كنت تعيشينهـا وأنت في مثل عمـري.. ولا أخي محمـود يعيش الحياة التي كان يعيشها أبي وهـو في عمره.. زمان كان الشاب الـذي يعمل جرسـونا في أحد الفنـادق يعتبر انه مسكين غلبـان ومن عائلـة خدامين أو انـه نزل بنفسـه إلى مرتبة الخدم وكان لا يمكن أن تـزوجي ابنتك لجرسـون.. والآن أصبـح الـذين يتطلعـون إلى مهنـة الجرسـون شبانـا من أحسن الشبـان وأصبح ابن الوزيـر يمكن أن يكون جرسونا وأحسن بنت يمكن أن تتـزوج جرسونا .. وزمان كانت البنت التي تعمل خياطة تعتبر خدامـة وشحاتة والتي تعمل سكرتيرة تعتبر منحلة تبيع نفسهـا لرئيسها.. والآن هناك سيـدات وانسات من أحسن وأرقى عائلات مصر يعملن خياطات وسكرتيرات.. وهذا يجعل هنـاك فـارقا كبيرا في الشخصيـة بينكم وبيننـا.. فلـو عـرفت أم وأب عصام فليس معنى هذا أنك عرفت عصاما.

وقالت الأم كأنها تصرخ :

— البيت هو الأساس .. البيت هـو الأرض التي تنمو فيها البذور.. فإذا كانت الأرض صالحة تنمو البذور صالحة

وردت الابنة ساخرة

— ان المثل القديم قدم دنيـاكم يقول. يخلق من ظهر العـالم فاسداً..ويمكن أن نقـول ايضا.. يخلق من ظهر الفاسد عـالماً.. وعلى كل حال فأنا واثقة من أن أبي رغم موافقته سيبـدأ من اليوم في السؤال عن أب عصـــام وأنت ستحفـــرين تحت الأرض حتى تعلمي ما يقال عن امه وعن اخته.. انكم لا تفرقون



بين مطـالب الزواج ومطـالب الزمـالة والصـداقة .

وقالت الأم في قرف :

— دعك من هذا الكلام الفـاضي وخبريني.. متى سيشرفنا زميلك المحترم.

وقالت الابنة وقد عادت إليها فرحتها

— ربما غدا .

وقالت الأم القرفانة

— وأين ستجلسان للمذاكرة .

وقالت الابنة وهي تبتسم ساخرة :

— تحت أمرك .

وقالت الأم في حسم :

— تجلسـان مع أخيك في غرفته.. وقالت الابنة في دهشة

— يـامامـا لايمكن.. اخويـا يجلس في غرفتـه مع عائشـة يذاكـر هندسة.. مادخلنا نحن في الهنـدسة. لا أنا استطيع أن أذاكر مع أخي ولا أخي يستطيع أن يذاكر معي .

وصرخت الأم :

— هل تريدين أن تذاكري مع زميلك في غرفتك بجانب السرير.

وقالت الابنة وهي تزفر انفاسها في سخط :

— يامـاما.. ياحبيبتي.. اذا كـان هناك شيء يمكن أن يحدث بيني وبين عصام فلن يحدث هنـا.. أنا لست في حـاجة إلى أن أدعـوه إلى البيت ليحـدث بيننـا شيء.. البيـوت والأمـاكن الأخرى كثيرة.. ثم أنـا لا أطلب أن يذاكـر معي في غرفتي

وقالت الأم من تحت أسنانها

— أين إذن ياست العباقرة ؟

وقـالت الابنة وهي تحاول أن تمسك بأعصـابها من الانطلاق

— فى حجرة الصالون أو على مائدة الطعام.. أى مكان من البيت حتى ولو فى المطبخ .

وسكتت الأم برهة ثم قالت وهى تخرج من الغرفة .

— عندما تأتين به يحلها ربنا .

وتتبعها الابنة بعينين فرحتين وبين شفتيها ابتسامة النصر .

قالت الأم وهى تبتسم لابنتها ابتسامة واسعة

* * *

— الحقيقة انى كنت مخطئة فى الحكم على صاحبك عصام.. انه فعلا شاب مهذب.. جاد.. مشرف.. ووسيم.. وذوقك حلو يا بنت .

وقالت الابنة ساخرة . ذوقى لم يكن له دخل فى صداقتى لعصام

وقالت الأم وهى ترشو ابنتها بابتسامتها :

— قولى الحقيقة.. ألم يدخل قلبك..

وقالت الابنةبلا مبالاة :

—لقد اتخذت قرارا منذ سنوات بعيدة..

وقالت الأم فى دهشة :

— أى قرار..

وقالت الابنة وهى تضحك

— ممنوع الدخول إلى قلبى.. ممنوع الحب .

وقالت الأم فى جزع .

— لماذا يا ابنتى.. حرام عليك أن تظلمى نفسك .

وقالت الابنة كأنها تلقى خطابا :

— بالعكس.. أنا أظلم نفسى ولكنى احمى نفسى . فنحن نعيش فى دنيا لم تعد تحتمل الحب.. انى استطيع أن أحب الله.. وأحب الوطن..وأحب الملوخية والبسبوسة.. ولكن ليس من حقى أن أحب شابا أبعد من حب الزمالة والصداقة

وقالت الأم فى لهفة

— لماذا !!



وقالت الابنة وهى تبتسم فى حسرة

— لأن الحب فى مصر لم يعد له مستقبل.. افترضى اننى احببت عصاما فماذا تكون نتيجة هذا الحب.. سأنتظر سنة أن يتخرج.. ثم انتظر خمس سنوات إلى أن يعمل ويصبح له دخل يستطيع به أن يفتح بيتا.. ثم انتظر عشر سنوات إلى أن نجد شقة تجمعنا كزوج وزوجة.. ويضيع عمرى فى الانتظار .

وقالت الأم فى اشفاق

— ولكن العائلات تساعد دائما أولادها وبناتها بعد الزواج..وقالت الابنة فى اصرار :

— هذا ما لا أريده لنفسى.. وأنت تعرفين أن عائلة عصام لا تستطيع أن تساعده وأنا لا يمكن أن أطلب من بابا أن ينفق علىّ بعد أن اتخرج واتزوج . ثم انى لا اقبل أن أعيش مع زوجى فى بيت أهله أو بيت أهلى.. الزواج لا معنى له دون استقلال الزوج والزوجة بمعيشتهما .

وقالت الأم وقد ارتفع صوتها كأنها تدافع عن نفسها

— هذا كلام فاض.. لقد تزوجت أباك ومرتبه لم يكن يزيد على اثنى عشر جنيها فى الشهر

وقاطعتها الابنة ساخرة .

— على الأقل وجدتما الشقة .

وقالت الأم كأنها تتباهى بنفسها :

— لقد كنت أكنس وأغسل وأطبخ بنفسى وليس معى أحد يساعدنى.. أن الزواج الناجح يبدأ من الصفر

وقالت الابنة كأنها تستهين بعقلية أمها

— ان الصفر الذى كان يساوى على أيامكم اثنى عشر جنيها فى الشهر.. يساوى الآن لا أقل من ستين جنيها فى الشهر.. الصفر الذى يضمن لنا بداية يمكن أن نرتفع بها كما ارتفعت أنت وبابا.

وقالت الأم فى سخط :

— أنتم جيل مدلل.. لا يريد أن يتعب ليبنى نفسه.. يريد كل شىء جاهزا بين يديه..حتى فى اختيار ثيابكم.. لقد كنا نفضل الفساتين التفصيل وكلنا تعلمنا الخياطة لنصنع ثيابنا بنفسنا . أما انتم فتريدون الملابس جاهزة.. كله جاهز.. لا أنت ولا أية واحدة من صديقاتك تستطيع أن تجلس إلى ماكينة خياطة

وقالت الابنة ساخرة

— ولا أنت ولا واحدة من صديقاتك دخلت الجامعة .

وقالت الأم وهى تتنهد :

— ماذا أخذتم من الجامعة يا حسرة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة حلوة لأمها كأنها تخفف عنها

— اسمعينى يا ماما.. اسمعى كلام بنت الجامعة.. أن الثابت هو أن التقاليد الاجتماعية هى انعكاس للحالة الاقتصادية التى يعيشها المجتمع . ولذلك تختلف التقاليد من جيل إلى جيل . ومن بلد إلى بلد. ومن طبقة إلى طبقة . كل ذلك حسب اختلاف الحالة الاقتصادية ونحن اليوم نعيش فى حالة اقتصادية تختلف عن الحالة التى كنتم فيها أيام شبابكم . هذه الحالة أثرت فى التقاليد التى تجمع بين المرأة والرجل . ونتج عنها انه أصبح من الطبيعى أن تعيش البنت والولد بعد الزواج مع عائلة الزوج أو عائلة الزوجة . لماذا؟ لأنه ليس هناك مساكن كافية ولأن إيجار المساكن اصبح اعلى مما يستطيعه دخل شاب مبتدىء.. أى حالة اقتصادية.. بل أن هذه الحالة بدأت تؤثر على الجيل الجديد تأثيرا خطيرا.. لقد أصبح فى الجيل الجديد من يؤمن بأن الحب يغنى عن الزواج.. أى أن البنت يمكن أن تعاشر حبيبها بلا زواج . لا لأنها غير شريفة أو لأنها منحلة ولكن فقط لأنها تحب ولأنها لا تستطيع اقتصاديا أن تتزوج حبيبها . وهذا



يحدث فى مجتمعات كثيرة راقية حضاريا كما المجتمع الأوروبى والمجتمع الروسى ولنفس السبب.. أى أن الحالة الاقتصادية تتطور فى مصر إلى مستوى المجتمعات الأوربية وتصبح الحياة الخاصة للأفراد ملكا لأصحابها.. كل واحد حر فى نفسه دون أن يتدخل المجتمع ليسأل البنت والولد هل هما متزوجان أم ليسا متزوجين

وخبطت الأم على صدرها وقالت

— يا مصيبتى.. وأنت ابنتى هل تؤمنين بهذا الكلام ..

وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها

— لا، ولهذا أحمى نفسى من الحب .

وقالت الأم الملهوفة :

— كيف ؟

وقالت الابنة مبتسمة فى هدوء .

— بعقلى .

وقفزت الأم واقفة كأنها تذكرت شيئا وقالت وهى خارجة

— انتظرى حتى اطمئن على البنت سوية فى المطبخ وأعود إليك لأطمئن على عقلك .

قالت الأم فى لهفة وهى تجلس بجانب ابنتها وتكاد تلتصق بها

— خبرينى يا ابنتى.. لقد قلت انك تحمين نفسك من الحب بعقلك.. كيف؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تشفق عليها من لهفتها

— بأن أسلط عقلى على قلبى.. وأجعل له دائما سلطات القيادة.. عقلى هو القائد الأعلى لكل تصرفاتى.. وأرفض أن أخطو خطوة واحدة مهما ألحت علىّ عواطفى ما دام القائد الأعلى لم يوافق .

وقالت الام وهى تغمر نفسها لاستها كأنها تشجعها على أن تبوح لها بالسر

— ألم يضعف عقلك مرة أمام عواطفك.. ان أى قائد اعلى له لحظات ضعف . إن الملكة بلقيس

صعقت أمام سيدنا سليمان رغم انها كانت تحاربه . هكذا قرأت ألم تلتقى أبدا بسيدنا سليمان وتضعفى له يا ست بلقيس .

وقالت الابنة ضاحكة

— لقد التقيت بأكثر من سليمان ولكننى قاومت أن أضعف أمام واحد منهم .

وقالت الأم كأنها تستهين بعقلية ابنتها :

— أخاف أن تلتقى بواحد يلطشك من أول نظرة .

وقالت الابنة جادة كأنها تهم ان تلقى درسا

— تقصدين الحب من أول نظرة.. يا ماما.. يا حبيبتى. صدقينى ليس هناك ما يمكن أن يسمى الحب من أول نظرة.. الحب لا يتحقق أبدا من أول نظرة ولا من ألف نظرة. النظرة قد تولد الاعجاب والاعجاب يتطور إلى أن يصل بالاثنين إلى نوع من تكامل الشخصيتين وهنا يولد الحب.. وقد لا يتطور الاعجاب ويبقى دائما فى حدود الاعجاب ولا يصل أبدا إلى الحب . وقد صادفنى الاعجاب مرة بشاب آخر ولكنى كنت حريصة على ألا أعرض هذا الاعجاب للخطر

وقالت الأم كأنها لا تفهم ابنتها .

— أى خطر ؟!

وقالت الابنة وهى تلقى نظراتها إلى بعيد كأنها تتذكر

— خطر التجربة.. ان كثيرات من البنات كلما صادفن شابا يعجبن به يقدمن معه ـ وربما من أول يوم ـ على التجربة.. كل منهن تجرب معايشة هذا الشاب لعل التجربة تنتهى بها إلى الحب وينتهى بهما الحب إلى الزواج.. ومعظم هذه التجارب تفشل وتكتشف البنت انها لا يمكن أن تحب هذا الشاب.. وقد يكتشف الشاب انه لا يمكن أن يحب هذه الفتاة وقد يكتشف الاثنان معا أن كلا منهما لا يطيق الآخر. والمصيبة أن الذى يحدث بعد ذلك أن البنت



تتعود التجربة . تخرج من تجربة لتدخل تجربة تدمن التجارب وتصبح صورة من صور الانحلال.. والانحلال ليس حالة اخلاقية ولكنه حالة مرضية.. انهن مريضات بالانحلال .

وقالت الأم معترضة

— ولكن لماذا تحكمين على كل التجارب بالفشل .

وقالت الابنة وهى تهز رأسها كأنها أستاذة فى الجامعة :

— لأنها تجارب تبدأ بالاعجاب من أول نظرة.. أى الاعجاب بالمظهر.. بجمال البنت ووسامة الشاب.. والمظهر لا يكشف عن حقيقة الشخصية

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة .

— وماذا تفعلين انت عندما تعجبين بشاب ؟

وقالت الابنة وهى تتنهد وكأنها تتحسر على نفسها

— لا أعرض نفسى للتجربة.. ولكنى اترك هذا الاعجاب يتطور تطورا طبيعيا.. وقد لا يتطور.. قد افقده وأنسى من أعجبت به.. وقد يتطور فإذا تطور إلى درجة أن ينقلب إلى تعلق بهذا الشاب ويكاد يصل بى إلى حالة الحب.. تركت القيادة لعقلى. وعقلى دائما يحرضنى على أن أهرب من هذا الاعجاب . اهرب من الحب قبل أن يولد.. أهرب من الحب وهو لايزال جنينا يتحرك داخل اعصابى . وأنت تعرفين رأيى فى الحب.. لقد قلت لك أن الحب لم يعد له

مستقبل فى مصر.. الحب لم يعد يستطيع أن يقاوم الحالة الاقتصادية وأزمة المساكن.. لم يعد يستطيع أن يصل إلى الزواج.. أصبح الحب فى مصر كالشاب العاطل الذى لا يجد عملا يرزق منه.. حبا عاطلاً.

وقالت الأم وهى تمد ذراعها وتحتضن ابنتها

— يا ابنتى لا تقولى هذا الكلام.. انك تعذبين نفسك.. إنك تسدلين على نفسك برقع اليأس.. تفاءلى

يـــا ابنتى كل عقدة ولهـا حلال . وكل حب لـه طـريق ينتهى به إلى الرواج .

والقت الابنة رأسها على صدر أمها واجهشت بالبكاء وهى تردد.

— انى متعبة يا ماما لا تدرين كم اتعذب

وقالت الام وهى تربت على كتف ابنتها بكل حنانها

— لماذا يا ابنتى؟ ماذا يتعبك؟ ماذا يعذبك؟ ماذا ينقصك؟ انى فداك يا ابنتى.. فداك يـا حبيبتى.. لا يمكن أن أترك فى الـدنيا مـا يمكن أن يتعب أو يعذب حبيبتى

وقالت الابنة وهى لا تزال تبكى فوق صدرها .

— انك لا تدرين فيم افكر يا ماما .

وقالت الام فى لهفة

— فيم تفكرين يا حبيبة ماما ؟

وقالت الابنة وهى تمسح دموعها :

— افكر فى الزواج..

ورفعت الام رأس ابنتهـا عن صدرهـا وقـالت وهى تنظر اليهـا فى حزع

— زواج وانت مازلت فى السنة الثانية بالجامعة .

وقالـت الابنة فى سخط كان دمـوعها انقلبت إلى رصـاص تطلقه فى صدر الدنيا .

— ما الفـرق بينى وأنا فى السـنة الثـانيـة أو فى السـنة الرابعـة أو بعـد أن اتخرج. الهم واحـد هم تحملـه كل البنات .

وقالت الام فى سـخط

— هم لا يرفعـه إلا الزواج.. هذا ما تقصـدينه. انها المرة الأولى التى أسمع منك هذا الكلام

وارتفع صوت نبوية الشغـالة من المطبخ تنادى على الأم على ست البيت. وقـامت الأم قافـزة وهى تقول لابنتها



— انتظرى إلى أن أرى ما حدث فى المطبخ وأعود إليك .

وعادت الابنة تبكى .

جاءت الأم والقت بنفسها بجانب ابنتها وهى تقول فى لهفة

— خبرينى . كيف تفكرين فى الزواج قبل أن تنتهى من سنوات الجامعة؟

ومسحت الابنة دموعها وقالت وهى تتنهد وكأنها تزفر العذاب.

يـا مامـا كل بنات الجامعـة يفكرن فى الـزواج.. حالاً.. اليـوم قبل الغـد. فإذا لم تجد البنت من تتـزوجـه قـالت انها لا تتـزوج إلا بعـد التخرج وإذا وجـدت العريس قالت انها ستتم تعليمها بعـد الزواج. لاتصدقى أن هنـاك بنتا لا تتمنى الزواج والمهم أن تجد من تتـزوجه.. وفى ستين داهية الجامعة .

وقالت الأم فى عتاب :

— ليس هذا ما اتفقنا عليه يا ابنتى. لقد اتفقنا على الا تتزوجى إلا بعـد التخرج وانت تعلمين انـه سبق أن تقـدم اليك أكثر من عـريس واعتذرنا لهم الواحد بعد الواحد.. لا زواج قبل التخرج .

وقالت الابنة ساخرة.

— اعتذرنا لهم لانهم لم يكن بينهم واحد تنطبق عليه الشروط. لم يكن بينهم واحد يعجبكم فكنا نتحجج بالجامعـة.. لو كان بينهم واحد أعجبكم لنسيتم الجامعة ولكنتم تقـولون لى ساعتهـا.. اكملى الجامعة بعد الزواج..

وقـالـت الام وهى تبحلق فى وجـه ابنتهـا كأنها تحاول أن تكشف سرها :

— منذ متى تفكرين فى الزواج ؟

وقالت الابنة كأنها تعترف أمام قسيس :

— منذ سنـة . اثنين.. ثلاثة.. ربما طـوال العمر وانا أفكر فى الزواج.. وكل سنة تتعبنى الفكرة أكثر واكثر

وقالت الأم وهى حائرة

— لماذا يا ابنتى ؟ ماذا يتعبك ؟ ماذا ينقصك إلى أن تتزوجى بعد التخرج بإذن الله ؟

وصرخت الابنة كأنها ضاقت بأمها

— ينقصنى كل شىء.. ينقصنى استكمال شخصيتى.. ينقصنى الرجل الذى يكون لى . ينقصنى ارضاء غريزة الامومة التى أحس بها منذ كنت ألعب بالعروسة وأنا طفلة.. ينقصنى البيت الذى أكون سيدته.. انك يا أمى لم تجربى الحرمان لانك تزوجت وأنت فى السادسة عشرة من عمرك.. لقد كان جيلكم أرحم بالبنت من جيلنا. كان يسرع باشباعها بمجرد استكمالها لطبيعتها كأنثى فيحميها من الحرمان ومن الضياع ومن البهدلة .

وقالت الأم كأنها تسخر من نفسها :

— لقد كان يقال عنا اننا جوار.. يبيعنا أهلنا للمشترى الذى يدفع الثمن الذى يحددونه.. المهر والشبكة.. ثم ينقلوننا من سرير الطفولة إلى سرير الزوج.. اسمعى يا ابنتى.. انت تعلمين انى زوجة سعيدة.. سعيدة بابيك.. وسعيدة بك أنت وأخيك.. ورغم ذلك فاننى تمر علىّ احيانا خواطر أحس فيها كأن أهلى ظلمونى عندما زوجونى وأنا فى السادسة عشرة.. لقد حرمونى من أزهى فترات عمرى.. فترة الشباب . لم اتمتع بمرح الشابات ودنيا الشابات وعواطف الشابات . تحملت المسئولية ومتاعب البيت والأولاد قبل أن أعيش انطلاق الشباب بلا مسئولية

وقالت الابنة ساخرة

— ولا تنسى أن الشباب له مطالب لا يحققها إلا الزواج.. إلا إذا امنت بماسبق أن قلته لك وهو أن الحب أصبح يغنى عن الزواج ..

وقالت الأم فى جزع

— لا.. لا.. أبدا. لاحب بلا زواج.



ثم مالت الأم على ابنتها وقالت كأنها تستجديها:

— صارحينى يا ابنتى.. هل تفكرين فى الزواج لأنك أحببت زميلك عصام أو غيره..

وقالت الابنة والصدق فى عينيها :

— أبدا.. لقد قلت لك انى أحس بحرمان لا يريحنى منه الا الزواج .

وصاحت الأم فى عصبية :

— ولكنك كنت تقولين منذ يومين أن عقلك يدفعك إلى الهروب من الحب لأن الحب أصبح عاطلا هذه الأيام لا يجد طريقه إلى الزواج.. ولذلك أصبحت لا تستسلمين للحب ولا تفكرين فى الزواج .

وقالت الابنة فى هدوء.

— لقد كنت أتحدث عن الشباب الذى يعانى من الازمة الاقتصادية وأزمة المساكن.. وقد ابتعدت بفكرى عن الشباب.. لم يعد يهمنى أن أتزوج شابا.. لماذا لا اتزوج رجلا كاملا .

وقالت الأم فى جزع :

— ماذا تقصدين بالرجل الكامل..

وقالت الابنة كأنها تحلم .

— رجل أكبر منى بسنوات.. فى الخامسة والثلاثين من عمره أو حتى فى الأربعين.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— هكذا انتن كما وصفتكن.. جيل البضائع الجاهزة.. جيل السندوتشات.. بدل أن تفكرى فى الزواج من شاب تكافحين الحياة معه.. تريدين أن تتزوجى رجلا جاهزا لا يفرض عليك متاعب الكفاح حتى لو كان عجوزا .

وقالت الابنة كأنها تلقى محاضرة :

— يا أمى هذه طبيعة تكوين الانثى والرجل.. وقد اثبت علماء الفسيولوجيا أى علم طبيعة الانسان

أن أصلح ما يجمع بين الرجل والمرأة هـو أن يكون فارق العمر بينهما عشر سنـوات.. أى أن يكـون الـرجـل أكبر من البنت بعشر سنـوات.. وأنت تـزوجت بـابـا وعمـرك ستـة عشر عامـا وكـان عمـره خمسـة وعشرين فارق تسع سنوات ولـذلك استمر التجاوب بينكما. ولكن عمـر الخامسـة والعشرين لم يعـد يـؤهل الشـاب الآن للـزواج. لأن الزواج شركـة تحتاج إلى رأس مـال.. والشاب فى الخامسـة والعشرين لا يكون قد كون رأس المال الكـاف. فلا مانع من أن نتركه حتى يصل إلى الخامسة والثلاثين ثم نتزوجه..

وقالت الأم فى سخط

— هذا زواج محكـوم عليه بالانهيـار.. بالفشل.. تصورى عنـدما تكون المرأة فى الاربعين أى فى عـز انوثتهـا وفى عز اقبـالها على الحياة وزوجها فى الستين مـن عمره.. على المعاش.. انتهت وظيفتـه.. وانتهت رجولته.. وانتهى حماسه للدنيا.

وقاطعتها الابنة ساخرة

— ياماما انك لا تعيشين جيلنا.. البنات الآن يعجبن بـالعواجيز. اصبح اكثر مـا يغرى البنت فى الـرجل هو الشعـر الابيض.. حتى انى اشك فى أن بعض الشبان يصبغون خصلات شعـرهم باللون الابيض بعد أن كـان العواجيز هم الذيـن يصبغون شعرهم باللـون الأسود. وآه لو رأيت الاستاذ الدكتور بسيونى..

وقالت الأم فى قرف :

— من هو بسيونى هذا ؟

وقالت الابنة وهى تقفز واقفة

— سأحكى لك عنه بعد أن أعود من الجامعة

وخرجت.. وأمها تتبعها بعينين حائرتين تائهتين.

* * *

عـادت الابنـة من الجامعة واستقبلتهـا أمهـا فى لهفة وأجلستها بجانبها قائلة



— ما حكاية الـدكتور بسيونى التى قلت لى عنها قبل أن تخرجى الى الجامعة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة كبيرة :

— يا ماما على مهلك.. انتظرى إلى أن استريح ..

وقالت الأم فى عتاب حنون

— أجلى راحتك.. واحكى لى.. لقـد تـركتنى فى الصبـاح كما تتركنى مسلسلات التليفزيون دون أن أفهم شيئا

وقالت الابنة وهى تتنهد كأنها تتحسر على حال الدنيا

— المهم ليست حكاية الدكتور بسيونى. المهم هى حكـاية بنات الجامعـة الـلاتى أصبحن يفضلن الـرجل الكـامل.. وكلمـة «الـرجل الكامل» أصبحت هى التعبير الجديد لكلمة «العجـوز» بنات هذه الايام يفضلن العـواجيـز.. ويـذبن فيهم حبًّا وعشقـاً.. العجـوز على الاقل يستطيع الزواج.. والـدكتور بسيـونى هو أستـاذ عندنـا فى الجامعة.. وهو عجوز . يقـال انه فى الاربعين وربما فى الخامسة والاربعين انما يجنن يا مامـا.. شعره الأبيض.. وسمار لونه . وعينـاه الهادئتان كأنه يتحدث بهما إليك.. وقوامه الطويل كقوام رمسيس الثانى.. و.

وقاطعتها أمها فى حدة ضاحكة :

— جـرى ايه يـا بنت.. انك تتغـزلين فيــه.. عيب .. وادخلى فى الموضوع.

وقالت الابنة وهى هائمة مع كلماتها:

— أصلـه يجنن فعلا.. المهم كـل البنات.. يـذبن فيـه.. ويجرين وراءه.. ويتمحكن فيـه.. وكل بنت عندها سؤال له.. سـؤال علمى طبعا..وكل بنت تريد درسا خصوصيا.

وقاطعتها الأم فى حزم

— وأنت أيضا تتمحكين فيه ؟

وقالت الابنة فى حسرة

— لا.. ولكني اتمنى لو بدأ هو.. وقالت الأم فى دهشة :

— يبدأ بماذا ؟

وقالت الابنة كأنها تلوم أمها على جهلها.

— يبدأ بالتصحك بى ومغازلتى.. ولكنه لا يبدأ مع أحد أبدا .. انه مغرور.. ينتظر أن تبدأ البنت وتشجعه إلى حد الارتماء عليه.. يحاول أن يحتفظ بشخصية الاستاذ المحترم.. إلى أن وقع اخيرا.. وقع فى سميرة.. انها طالبة معنا فى الجامعة.. ولكنها بنت شاطرة استطاعت أن تصطاد الدكتور بسيونى.. كل الجامعة الآن تتحدث عن بسيونى وسميرة.. هل تعرفين كم عمر سميرة.. تسعة عشر عاما.. فى عمر ابنته لو كان له ابنة.

وقالت الأم فى لهفة :

— هل هو متزوج ؟

وقالت الابنة بسرعة :

— لا.. ليس متزوجا ..

وعادت الأم تسأل :

— وهل كان متزوجا ؟

وقالت الابنة ضاحكة :

— لا.. انه لا يزال بكرا.. كالبنت العذراء..

وقالتالأم فى لهفة : وهل سيتزوج سميرة؟

وقالت الابنة وفى عينيها نظرة حادة كأنها تحسد زميلتها

— يقال انه سيخطبها بعد الامتحانات..

وقالت الأم ساخرة

— لا أظن ..

وقالت الابنة فى دهشة

— لماذا ؟

وقالت الأم الساخرة

— ما دام الرجل قد تعدى الاربعين دون زواج فمعنى هذا انه ليس فى حاجة إلى الزواج

وقالت الابنة معترضة



— لماذا يا ماما.. ربما يصادف البنت التى تقنعه بالزواج.. أو ربما كانت فى حياته صدمة حب حرمته من الزواج

وقالت الأم وهى تعتدل فى جلستها كأنها تهم أن تلقى درسا

— اسمعينى يا ابنتى.. ان الرجل ليس من طبيعته الزواج.. الرجل لا يريد الزواج ولكنه يريد المرأة.. فاذا وجد المرأة استغنى عن الزواج ولذلك فهم ينصحون البنت التى تريد الزواج بألا تعطى الرجل قبل الزواج ما يريده منها بعد الزواج.. لماذا يتزوجها مادام يأخذ كل شيء بلا زواج.. هذا بعكس المرأة.. فطبيعة المرأة تفرض عليها الزواج.. لأن فى غريزتها الامومة ولكى تكون أما فالمجتمع يفرض عليها الزواج والا ضاع أولادها فى المجتمع واصبحوا أولاد حرام.. وهذا بخلاف الرجل فالابوة ليست غريزة فى الرجل انها عاطفة مكتسبة.. أى أن الرجل لا يحس بأولاده إلا بعد أن يولدوا ويعيشوا معه.. فإذا لم يولدوا فهو ليس فى حاجة إليهم.. ليس كالمرأة تحس بالأولاد وهم فى بطنها. وكذلك فإن الزواج بالنسبة للمرأة مركز اجتماعى تستكمل به شخصيتها الاجتماعية فإذا لم تتزوج اعتبرت شخصية ناقصة وأطلقوا عليها لقب .. عانس.. أما الرجل فليس فى حاجة إلى الزواج ليستكمل شخصيته ولا يخاف من أن يتهم بأنه عانس . ولهذا كله. فإن استاذك الدكتور بسيونى مادام قد وصل إلى هذه السن دون زواج فلا شك انه تعود أن يحصل على المرأة بلا زواج.. فإذا كان قد حصل على زميلتك سميرة فلن يتزوجها..

وصاحت الابنة معترضة

— انك تحصرين معنى الزواج فى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة.. والجنس لم تعد له قيمة فى الدول المتحضرة.. والجيل الجديد لم يعد يخاف الجنس كما تخافينه..

وقالت الأم وكأنها تصرخ فى وجه ابنتها

— الدول التى تسميها متحضرة وصلت إلى حد

اعفاء المرأة من مسئولية غريزتها كأم تحملت عنها مسئولية أولادها . تلد وتعطى أولادها للحكومة لتنشئهم وتربيهم. والمجتمع هناك أعفى المرأة من شخصية الزوجة وألغى لقب عانس كاتهام يوجه إليها.. هذا لم يحدث عندنا..

وقفزت الابنة واقفة وقالت وهى تجرى مبتعدة.

— المصيبة عندنا أن الأمهات يعشن فى عالم والبنات فى عالم آخر

وتتبعتها الأم بعينين مشفقتين قائلة :

— ربنا يخليك ويحميك يا ابنتى من الوصول إلى العالم الآخر

قالت الأم لابنتها وهى تنفث انفاسها فى زهق .

— يا ابنتى لا تحيرينى معك انك منذ قلت لى انك تفكرين فى الزواج وأنا لا أنام.. وأعيش فى رعب خوفا من أن تدخلى على يوما وفى يدك عريس.. وكلما ناقشتك فى الموضوع دخلت فى كلام فلسفى لا أخرج منه بشىء. اريحينى يا ابنتى وقولى لى .. هل تريدين فعلا الزواج الآن وقبل ان تنتهى من الجامعة

وقالت الابنة وكأنها تهم بالبكاء

— لا أدرى

قالت الأم فى حدة

— كيف لا تدرين ما فى نيتك ؟

وقالت الابنة وهى تخفض رأسها كأنها تخفى حيرتها

— لأنى لا أستطيع أن أقرر ما أنوى عليه احيانا اقرر الزواج فورا والاستسلام لأول عريس يطرق الباب. وأحيانا ارفض مجرد التفكير فى الزواج واقرر الانتظار إلى ان اتخرج فى الجامعة حتى لو تقدم إلى ملك الملوك

وقالت الأم وهى تضغط على اعصابها حتى تحتفظ بهدوئها

اسمعى يا ابنتى .. انت تعرفين ان هناك نوعين من الزواج.. زواج نتيجة حب وزواج نتيجة تحكيم



العقل.. وقد سبق أن قلت لى إنه ليس فى حياتك قصة حب وانك تهربين من الحب اذن فلم يبق أمامك إلا زواج العقل.. والعقل الراجح السليم يقول بألا تتزوج البنت إلا بعد أن تتم تعليمها

قالت الابنة فى فتور

— لماذا ؟

قالت الأم فى عصبية .

— لماذا ماذا ؟

وقالت الابنة فى لهجة ساخرة :

— لماذا لا تتزوج البنت إلا بعد أن تتم تعليمها.. هل هو الشرع أم القانون أو مجرد التحايل . والعياقة بأن لك بنتا متعلمة

وتنهدت الأم كأنها تستعين بالله وقالت

— انت تعرفين لماذا ان البنت بعد ان تتم تعليمها تستطيع أن تعمل وتكسب.. وبذلك تستكمل شخصيتها وتصبح فى نفس قوة زوجها. تصل إلى حلم المساواة بين الرجل والمرأة المساواة الثقافية والانتاجية والاجتماعية . فلا يستطيع الزوج أن يتحكم فى الزوجة بلقمة العيش. إذا تركها تشردت وماتت من الجوع.. تصبح الزوجة شيئا آخر مثل دراجة أو سيارة يركبها الزوج نظير ايجار شهرى يدفعه من مرتبه

وضحكت الابنة وقالت :

— ولكنك يا ماما لم تتمى تعليمك ولا تعملين خارج البيت ورغم ذلك فلا اعتقد انك دراجة.. أو سيارة يركبها ابى. انك زوجة سعيدة .

وصرخت الأم

— دعك من أبيك ولا تقارنى نفسك بى . ان سعادتى مع ابيك مجرد صدفة كأنى كسبت البريمو فى ورقة يانصيب.. وأيامكم غير أيامنا حتى البريمو هذه الأيام لم يعد يعطى ما كان يعطيه على أيامنا.. والزواج الآن لا يمكن أن يقوم على القسمة والنصيب. انما يقوم على مقاييس العقل.

وقالت الابنة وهي لا تزال تضحك :

— هل تريدين أن تقولي أن على ايامكم لم يكن لكنّ عقل.

وعادت الأم تصرخ .

— اخرسي كنا أعقل وأشطر منكِ ولكن الدنيا تغيرت كان الرجل عندما يتقدم للزواج يسأل عن قيمة أبي البنت عن مركز الأب الاجتماعي وعن مستوى دخله لا لمجرد أن تسهم زوجته في المصاريف اعتمادا على دخل ابيها.. ولكن لأن البنت لم يكن لها قيمة إلا بأبيها . أما الآن فالرجل لا يكتفي بالسؤال عن الأب بل يسأل أولا عن ماذا تعمل البنت عن الوظيفة التي تتولاها.. وعن قيمة مرتبها. وعن مستوى تعليمها. لأن قيمة البنت أصبحت في شخصيتها الذاتية.. هي التي تفرض شخصيتها .

وقالت الابنة وهي تهز كتفيها بلا مبالاة :

— الرجل هو الرجل على ايامكم وأيامنا.. لم يتغير.. كان زمان يسأل عن أبي البنت حتى يضمن دخلا ينهبه ويرثه أولاده ولكن مستوى الآباء الاقتصادي انخفض.. أصبح مرتب وكيل الوزارة لا يكفي بيته ولا يفيض منه شيء ليساعد به ابنته بعد أن تتزوج.. فبدأ الرجل يبحث عن الفتاة التي تعمل وتكسب لينهبها بعد أن كان ينهب أباها.. ومثلا.. أن نسبة تعدد الزوجات على أيامكن كانت مرتفعة. كان من الوضع الطبيعي المعترف به اجتماعيا أن يتزوج الرجل مثنى وثلاث ورباع.. والآن انخفضت نسبة تعدد الزوجات.. لماذا.. هل لأن الرجل تغير.. أبدا.. إنما لأن الحالة الاقتصادية اصبحت لا تسمح للرجل بأن ينفق على أكثر من بيت وأكثر من زوجة.. بدليل أن الرجل الغني القادر لا يزال في هذه الأيام يتزوج مثنى وثلاث.. وبدليل أن نسبة العلاقات الجنسية الحرام قد ارتفعت سواء بين المتزوجين أو غير المتزوجين.



قالت الأم في غيظ كأنها تعجز أمام منطق ابنتها ..

— ولكن على أيامنا كانت الزوجة تضطر أن تستسلم لزوجها إذا تزوج أخرى لأنه لم يكن لها ملاذ آخر غير هذا البيت وهذا الرجل.. اما اليوم فالزوجة لا يمكن أن تحتمل زوجة أخرى بل تترك البيت والزوج حتى قبل أن يطلقها لأنها تستطيع أن تعتمد على نفسها. لأنها تعمل لأنها تكسب.. ان المرأة الآن اقدر على الاحتفاظ بكرامتها ..

وقالت الابنة وهي تنظر إلى أمها في اشفاق .

— يا ماما انك لا تعلمين إلى أين يتطور الوضع الاجتماعي ولا إلى أين يتطور فكر البنات. ان تحت المظاهر التي نعيشها والشعارات التي ننادي بها فكرا جديدا يرفض هذه المظاهر وهذه الشعارات . انه تطور إلى حق جديد من حقوق المرأة ..

وقالت الأم كأنها تسخر من ابنتها .

— إلى أين تطورت يا ابنتي.. خبريني.. لا حرمني الله من فلسفتك .

وقالت الابنة مبتسمة :

— ان كل ما أحس به من تطور الآن هو أن رأسي يمزقه الصداع.. كفى كلاما اليوم يا ماما.. سأنام .

وقامت الابنة إلى غرفتها وأمها تصيح وراءها ..

— لا تأخذي اسبرين كعادتك..

* * *

قالت الأم لابنتها وبين شفتيها ابتسامة ساخرة .

— لقد قلت لي أن فكر البنات يتطور إلى تفسير جديد لحقوق المرأة ..فما هو هذا التطور يا حبيبة أمك

وقالت الابنة وهي تنظر بعينيها إلى بعيد كأنها تتحدث عن مستقبلها

ان بعض المفكرين يقولون أن المرأة ظلمت نفسها عندما طلبت المساواة بالرجل.. لقد اكتشفت أنها

أصبحت تحمل مسئوليتين وتعيش حياتين.. مسئولية وحياة المرأة ومسئولية وحياة الرجل.. فى حين أن الرجل ظل محتفظا بمسئولية وحياة واحدة هى مسئوليته وحياته كرجل.. ان المرأة عندما وصلت إلى المساواة بالرجل لم تطلب أن يحمل ويلد ليتساوى معها فى مسئولية الانجاب.. لا تستطيع أن تنقل اليه غريزة الامومة ولانها.. وحدها التى يمكن أن تكون أمًا فهى تحمل مسئولية البيت الذى ستلد فيه أطفالها.. فأصبحت المرأة العاملة تعمل داخل البيت وتعمل خارج البيت.. تشقى وتتعب فى الداخل والخارج..

وقالت الأم كأنها تتباهى بذكائها :

— ولكنهم يقولون أن الرجل الحديث اصبح يشترك فى أعمال البيت بجانب زوجته..

وقالت الابنة فى هدوء

— أبدا.. أن الرجل يبقى دائما كما هو.. الحديث كالقديم.. وإذا اشترك فى أعمال البيت فإنه يشترك لمجرد التسلية بدلا من أن يلعب طاولة أو كوتشينة.. دون احساس بالمسئولية.. تبقى مسئولية البيت على رأس الزوجة وحدها.. ولم تنجح تجربة اشتراك الرجل فى أعمال البيت حتى فى أوروبا وأمريكا مما أدى هناك إلى ارتفاع نسبة النساء اللاتى يتفرغن لأعمال البيت ويرفضن العمل خارج البيت.. بل أصبح التفرغ للبيت قضية من القضايا التى تطالب بها المرأة..

وقالت الأم فى دهشة

— إذن لماذا يملأ النساء العالم بالصراخ مطالبات بالمساواة بالرجل مادامت المرأة تريد أن تعود إلى البيت وتعيش فى خدمة الرجل كما عشت أنا..

وقالت الابنة وهى تبتسم كأنها تشفق على أمها

— يامامـا لقد بدأت المساواة تتخذ تفسيرا جديدا.. أصبحت المساواة هى مساواة فى تقدير العمل.. فعمل المرأة داخل البيت يساوى عمل الرجل خارج البيت.. والزوجة تعتبر امرأة عاملة



بمجرد الزواج.. عاملة فى البيت

وقالت الأم كأنها تتحدى ابنتها

— ولكنها تبقى دائما عالة على زوجها وتحت رحمة ما يكسبه ويدفعه لها

وقالت الابنه فى حدة كأنها أهينت فى كرامتها..

— أبدا الزوجة لا تكون أبدا عالة على زوجها.. والزوج لا يدفع عطفا أو احسانا ولكنه يدفع نظير عمل.. وعمل تقوم به الزوجة.. الزوج ليس صاحب فضل على الزوجة أكثر من فضل الزوجة عليه.. انهما يتقاسمان مسئوليات الحياة.. لذلك فلم يعد يكفى أن يدفع الزوج مصروفات البيت والأولاد بل يجب أن يخصص للزوجة دخلاً خاصا تتصرف فيه وحدها.. أى يخصص لها مرتبا باعتبارها امرأة عاملة.

وقالت الأم وهى تهز رموش عينيها كأنها ترفض كلام ابنتها :

— وأين الزوج الذى يرضى أن يدفع مرتبا لزوجته ؟ !

وقالت الابنة وهى لا تزال محتدة :

— انهم يدفعون.. وإن كانوا يسمون المرتب باسم مصروف يد.. الزوجات أصبحن يطالبن بأكثر من المرتب.. أصبحن يطالبن بأن يكون لهن معاش.. أى يدفع لهن الزوج أقساط هيئة التأمين إلى أن يبلغن سن الستين ويحصلن على المعاش.. كأى امرأة عاملة.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف

— وما حاجة الزوجة إلى المعاش..

وقالت الابنة كأنها تتباهى بآرائها

— لتحتفظ بحقها.

وقالت الأم وهى تزداد قرفا..

— أى حق ما دامت تعيش عالة على زوجها..

وعادت الابنة تحتد قائلة

— يامامـا لا تظلمنى نفسك.. انك لم تكونى أبدا عالة على بابا.. كيف كان يمكن أن تستمر الحياة

بأبى لو لم تكونى معه.. ثم أن الزوجة فى الجيل الجديد أصبحت مسئولياتها اكبر.. لم تعد مسئولية الزوجة مقصورة على إدارة البيت والمطبخ والأولاد.. انى اعرف زوجات يمسكن بدافتر الحسابات لازواجهن ويحسابن الضرائب نيابة عنهم.. زوجات يجعلن من بيوتهن مجالات لاجتماعات عمل الزوج.. أصبح من واجب الزوجة ان تحمل عن زوجها كثيراً من تفاصيل الحياة حتى تتركه يتفرغ بفكره ونشاطه للمسائل الرئيسية من عمله وحياته. ولذلك اصبحت البنت فى حاجة للعلم لا لتعمل خارج البيت بل لتعمل داخل البيت..

وقالت الام وهى لا تزال قرفانة :

— كل هذا الكلام فاض.. كل ما افهمه هو انى ملك لزوجى. وإذا ضاع ضعت معه.. ولذلك عشت اتمنى أن أراك وقد تخرجت فى الجامعة وعملت حتى تستطيعى الاعتماد على نفسك ..

وقالت الابنة ساخرة :

— لا استطيع ان ابنى تفكيرى فى مستقبلى على الخوف.. ان أعمل خوفا من أن يضيع زوجى . وأن أتمتع بالسباحة حتى لا أغرق.. وألا أخرج من البيت حتى لا تصدمنى سيارة ..

وقالت الأم مبتسمة كأنها تحاول أن تقنع ابنتها

— انظرى يا ابنتى إلى أمينة السعيد . انها ناجحة فى عملها وناجحة فى بيتها كزوجة.. لقد كنت أحسدها طول عمرى وأتمنى أن تكونى مثلها. وصاحت الابنة

— لا تقولى أمينة السعيد أو عائشة راتب أو سهير القلماوى أو.. أو.. ان هذا الجيل لم يتعلم ويعمل تحديا للرجل أو لضمان الحماية من تصرفات الزوج.. لقد تعلمن وعملن لانهن كن يردن العلم والعمل.. كن موهوبات وكافحن حتى يمارسن مواهبهن.. ولا اعتقد أن ايا منهن يسرها أن تتشبه بالرجل.. وقد كتبت المرحومة فاطمة



ـوسف فى مذكراتها أنها كانت تثور عندما يصفها أحد بأنها رجل تى لو قالوا لها إنها خير من مائة رجل.. كانت تصيح بأنها تعتز بها امرأة ولا تقبل أن تنزل إلى مستوى الرجال.. وعيب بنات هذا جيل انهن يشبهن انفسهن بالرجال ويتباهين بأنهن حققن المساواة بالرجل.. ويجهلن أنهن يظلمن أنفسهن بهذه المساواة .

ونظرت الأم إلى ابنتها طويلا كأنها حائرة فيها ثم قالت

— هناك موضوع آخر.. الحالة الاقتصادية.. الفقر

وقفزت الابنة واقفة وقبلت امها قبلة سريعة وهى تجرى مبتعدة

— كفانا اليوم نقاشا يا ماما.. دعينا ليوم آخر .

قالت الأم لابنتها فى عصبية :

— لاتنكرى أن الحالة الاقتصادية أصبحت تفرض على الزوجة أن تعمل خارج البيت حتى تكسب وتساهم مع زوجها فى مصاريف الحياة.. البيت الآن لم يعد يكفيه ما يكسبه الزوج وحده.. افرضى أنك تزوجت زميلك عصام فهل تستطيعين أن تعيشى معه بمرتبه حتى لو أدمنت حبوب منع الحمل طول عمرك لتوفرى مصاريف الأولاد..

وقالت الابنة ساخرة .

— هذا موضوع قديم ..

وصاحت الأم فى وجهها :

— ماذا تقصدين بأنه موضوع قديم.. انه موضوع كل يوم ..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— أقصد أن الحالة الاقتصادية كانت تدفع الزوجة إلى العمل منذ فجر التاريخ.. والفلاحة المصرية تعمل مع زوجها فى الغيط منذ آلاف السنين لأن الحالة الاقتصادية تفرض عليها العمل.. والحالة الاقتصادية كما قلت لك تفرض الحالة الاجتماعية.. فلم يظهر بين الفلاحين مثلا مشكلة الاختلاط بين المرأة والرجل.. ولا مشكلة الحجاب والسفور. ولا مشكلة تحرير المرأة ولا بقية المشاكل التى تواجهها

المرأة في المدن لأن الحالة الاقتصادية بين طبقة الفلاحين تختلف عنها بين طبقة سكان المدن. فتختلف معها الحالة الاجتماعية..

وقاطعتها الأم قائلة :

— ان متاعب الحصول على القرش أصبحت واحدة بين بنات المدن وبنات الريف

وقالت الابنة في اصرار

— ولكن ليست الحالة الاقتصادية هي التي يدور حولها الكلام عن حق البنت في العمل طبعا لو احتاجت الزوجة لأن تعمل فيجب أن تعمل ولكن الزوجات يعملن الآن خارج البيت دون أن يكن في حاجة للعمل. بحجة المساواة بالرجل . أو بحجة استكمال الشخصية حتى لا يتحكم فيها الرجل وحتى لا تجوع إذا طلقها الزوج. ولكن السبب الرئيسي هو العياقة وملء الفراغ والتسلية بدل أن تذهب لزيارة جارتها تذهب لزيارة زملائها في المكتب أو الدكان الذى تعمل فيه.

وقالت الأم وهي تلوى شفتيها كأنها قرفانة من ابنتها

— مهما كانت الحجة أو السبب فإن الزوجة عندما تعمل تزيد من دخل الأسرة وتسهم في مصاريف البيت..

وقالت الابنة وهي تهز كتفتها ترفض كلام أمها:

الزوجة عندما تعمل تزيد من مصاريف البيت ومن متاعب الأسرة.. انها تفقد سيطرتها الكاملة على البيت وتفقد درايتها الكاملة بالسوق والأسعار.. وتصبح عبدة للشغالة التى تتركها في البيت.. وتدفع مصاريف دار الحضانة أو مصاريف التاكسى الذى تحمل فيه أولادها كل يوم لتركهم عند أمها حتى تنتهي من عملها.. ان البيت عمل فإذا تركت الزوجة العمل فإنها مضطرة أن تدفع لمن يقوم بالعمل بدلا عنها.. كأى عمل آخر.



وقالت الأم في قرف

— البيت ليس ورشة يدور فيها العمل ليل نهار. ساعة واحدة وشغل البيت ينتهي.. وساعة أخرى وشغل المطبخ ينتهي والأكل جاهز..

وقالت الابنة وهي تبتسم لتهدأ ثورة أمها

— يا ماما لا تقولى هذا الكلام وأنت ست الستات.. ان شغل البيت ليس النظافة والمطبخ فقط.. ان الزوجة مادام عندها وقت فراغ تستطيع أن تصنع المربى وتكلفها أقل من السعر الذى تشتريها به من السوق. وتستطيع أن تصنع الحلوى.. الجاتوه والتورتة . وتستطيع أن تصنع المخلل كل ذلك وهي في بيتها.. في المصنع أو الورشة التى تملكها.. بل انت تعرفين أن هناك زوجات يصنعن الحلوى في البيت ويبعنها لأكبر محلات الحلوى.. وزوجات يصنعن ملابس التريكو أو المناديل بأويه ويبعنها.. المهم أنها لا تفقد وجودها في البيت وسيطرتها عليه..

وقالت الأم وكأنها في يأس من ابنتها :

— عجيبة أن أسمع هذا الكلام منك.. من بنت الجيل الجديد وبنت الجامعة . انك تتكلمين كأن أمك التى أوجدتك هي التى تتكلم.. لقد كنت أحلم بأن تعيشي حياة غير التى عشتها..

وقالت الابنة وهي تقترب من أمها وتدللها :

— لقد قلت لك انه حدث تطور في تفكير الجيل الجديد.. لقد اكتشفنا أن بنات الجيل القديم كن أذكى وأشطر منا.. وربما تسمعين قريبا هتافا في الجامعة يقول : البنت والرجل في الشارع.. أى أن تكون مسئولية البنت هي العمل داخل البيت ومسئولية الولد هي العمل خارج البيت.. ولهذا فقد ارتفعت نسبة خريجات الجامعات اللاتى تفرغن للبيت

وقالت الأم كأنها تهم بأن تبكى حسرة على ابنتها

— انتهينا.. اتركى الجامعة من اليوم ويكفيك الثانوية العامة..واجلسى جانبى فى البيت فى انتظار ابن الحلال.. وربنا يستر

وقالت الابنة كأنها أهينت

— لايمكن.. مستحيل

وقالت الأم فى سخط

— لماذا لا يمكن.. انك منذ اسابيع وأنت تدوشين دماغى بالكلام عن الزواج.. وتلقين على درسا فى الفلسفة لتقنعينى بأن من صالح البنت أن تبقى فى البيت . اذن.. بدل أن تضيعى الوقت فى الجامعة ضيعيه أمام المرآة لتتجملى فى انتظار ابن الحلال، وكل يوم تذهبين فى زيارة لعلك تلتقين بمن يعجبك .

وقالت الابنة ضاحكة كأنها تخفف عن امها :

— العرسان فى الجامعة..

وقالت الأم دون أن تضحك

— لا.. اللى فى الجامعة لسة عيال صغار.. لا ينفعون للزواج..

وقالت الابنة وهى لا تزال تضحك .

هناك أيضا الأساتذة والمعيدون .

وقالت الأم ساخطة :

— انهم متزوجون أو من هواة جمع الطالبات.. المهم أن تتركى الجامعة مادمت لا تبنين مستقبلك عليها

وقالت الابنة وهى تقفز مرحة بعيدا عن أمها

— الجامعة ليست مستقبلا ..

وقالت الأم القرفانة

ماذا تكون اذن ؟ .

وقالت الابنة وهى تجرى خارج الباب

— تسالى

قالت الابنة لامها وهى تبتسم لها فى حب



— هل تعرفين أن الدكتورة فاطمة تحسدك يا ماما..

وقالت الأم وكأنها تتواضع :

— تحسدنى أنا.. على ماذا يا حسرة.. أن الدكتورة فاطمة لا ينقصها شىء.. انها فى غنى عن الحسد..

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— تحسدك على متعة الحب ..

وقالت الأم وهى تفتعل السخط فى ابنتها

— عيب يا بنت.. ماذا تقصدين بهذا الكلام ..

وقالت الابنة ضاحكة :

— أقصد انها تحسدك لان عندك الوقت الذى تعطين فيه الحب حقه.. أقصد حب بابا طبعا .

وقالت الأم وهى تبتسم فى حياء :

— إنى أعرف أن الدكتورة فاطمة تحب زوجها وزوجها يحبها.. انهما زينة الأزواج .

وقالت الابنة وهى تتنهد كأنها تشفق على الدكتورة فاطمة

— ولكن ليس لديها ولا لدى زوجها الوقت لاعطاء الحب حقه .

وقالت الأم وهى تنهر ابنتها

— إنك تتكلمين كأنك تعيشين معهما . من أدراك إذا كانا يعطيان للحب أو لا يعطيان ..

وقالت الابنة فى حماس كأنها تتفاخر بما لديها من أخبار

— ان صديقتى كوثر ابنة الدكتورة فاطمة هى التى تحكى لى.. لقد قالت لى انها تحس بأن أمها غلبانة.. وابوها غلبان ايضا.. فهى تعود من عملها متعبة وتلقى نفسها على المقعد أو على السرير ولا تطيق أن تتحرك أو تتكلم.. وبعد أن تسترد أنفاسها وتستريح تنزوى على مكتبها لتراجع ما عليها من

عمل   فرا رهقت قرأت قصة أو جلست أمام التليفزيون . وكذلك أبوها انه يعود من عمله متعبا ولا يجد من يستقبله ليريحه ويخفف ويرفه عنه فيسقط هو الآخر على مقعده إلى ان يستريح ليعود ويعمل على مكتبه . انه مظلوم وزوجته مظلومة.. حتى في أيام الاجازات. انهما لايخرجان إلى نزهة أو إلى سهرة. ولا يتفرغ أحدهما للآخر بل كل منهما ينتهز الاجازة حتى يريح نفسه من خروج كل يوم ومن العمل ويهب نفسه للنوم. الاجازة هي اجازة للنوم لا للنزهة   وقد قالت لي كوثر ان امها اعترفت لها بانها ظلمت نفسها وظلمت زوجها عندما وهبت نفسها للعمل.. وانها تحسدك.

وقالت الأم وكأنها تبعد عن نفسها الحسد.

— لماذا لا احسدها أنا على شهرتها وعلى ماتكسبه وعلى اللقب الذي تحمله.. دكتورة.. ان أمنيتي الوحيدة بعد أن حرمت من أن أكون دكتورة هي أن أكون أم دكتورة أو أم دكتور.. إذا كنت تحبينني يا ابنتي فخذي لنفسك الدكتوراة   لتكوني دكتورة.. وأكون أم دكتورة.. من أجل خاطري..

وقالت الابنة ساخرة.

— ان الدكتورة فاطمة تفكر كل يوم في الاستقالة من عملها وربما كانت تفكر أيضا في التنازل عن لقب دكتورة.. حتى تتفرغ لمسئولية الحب.

وقالت الأم ساخطة:

— ماذا ينقصها.. ان بيتها يشرح القلب.. وأولادها ـ الحمد لله ـ ناجحون.. وعندها طباخ وشغالة.. وقد فتح الله عليها وعلى زوجها حتى انى سمعت انهما سيشتريان عمارة

وقالت الابنة وهي تلوي شفتيها كأنها قرفانة من عقلية أمها:

— ياماما أن مسئولية الحب ليست هي مجرد مسئولية البيت أو الأولاد لطبخ وكسب الفلوس.. ان مسئولية الحب هي مسئولية تحقيق السعادة سعادة الروح والعاطفة.. سعادة المتعة.. سعادة الضحكة.. سعادة نسيان الهموم.. وهي مسئولية تفرض التفرغ   فكيف تستطيع الزوجة التي تعمل خارج البيت أن تتفرغ لهذه المسئولية   انك في كل يوم وقبل ساعة من عودة بابا إلى البيت تدخلين الحمام وتخرجين وانت على سنجة عشرة.. قمر ورائحة الكولونيا تفوح منك كأنها تزفك إلى حبيبك.. لماذا كل هذا حتى تسعدي بابا . ولكن الدكتورة فاطمة لا تجد وقتا لتدخل الحمام . انها تلتقي بزوجها وكلاهما عائد من العمل. يراها بعبلها. وربما كانت تحيط بها رائحة تراب المكتب أو تراب الشارع.. وانت تجلسين بجانب بابا تحكين له الحكايات والأخبار حتى لو كانت اخبارا مغشوشة لمجرد تسليته. وتسلطين عليه إغراءك حتى تخرجي به في زيارة أو في فسحة لتريحيه من عذاب التليفزيون.. أما الدكتورة فاطمة فهي تعود إلى البيت متعبة.. لا تطيق أن تقول لزوجها كلمة أو تسمع منه كلمة وكلاهما لا يفكر في نزهة أو زيارة فالخروج من البيت بالنسبة لهما هو الخروج إلى العمل   انها تعيش غلبانة محرومة ومن حقها أن تحسدك.. وأنا معجبة بك ياماما. انك تتحملين مسئولية الحب شيء واحد اعلطك فيه.. انك تتطرفين في الحب إلى حد انك تغسلين قدمي بابا بالماء الساخن.. غير معقول.. ليس هذا هو الحب.. انه الذل.

وقالت الأم كأنها تدافع عن نفسها:

— انى أغسل قدمي بابا لأنه يكون في أحسن حالاته وأنا اغسلها له.. انى أحس كأنى أدلل طفلي.. أحس كأنى أعد الماكينة التي املكها حتى تخدمني أحسن.. انهم يقولون أن الفلاحات الفقيرات هن اللاتي يغسلن أقدام ازواجهن   ابدا . ليس لأنهن فلاحات وفقيرات ولكن لأنهن أذكى من غيرهن من

النســاء.. يعـرفن كيف يحتفظن بــالـرجل . أى بـالماكينـة صــالحة لخدمتهن .

وقالت الابنة وعيناها تبرقان بذكائها ..

— الطبقـة الغنيـة هى التى تستطيع الـزوجات فيهـا أن يتفـرغن لمسئولية الحب . لأنهن لسن فى حاجة إلى العمل.. لذلك فإنى سأطالب الثلاثين نـائبـة الـلاتى سيـدخلن مجلس الشعب بأن يفـرضن على الحكـومة أن تعتبر أن مجرد الـزواج يعتبر وظيفة اجتماعيـة تستحق مرتبـا كمرتب أى وظيفة حتى تستطيع الزوجـة أن تتفرغ للحب دون حاجة إلى العمل خارج البيت .

وقالت الأم ساخرة :

—وقد قررت أنت التفرغ لمسئولية الحب..

وقالت الابنة كأنها يائسة

— لا.. سأتفرغ للدكتوراة ..

وقالت الأم فى دهشة .

— هل عدلت عن رأيك .

وقالت الابنة :

— لا.. ولكنى لم أجد الحب الذى أتفرغ له..

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها من خلال ابتسامة شامتة

— أين صديقك عصام.. لقد مضى أسبوعان ولم يأت ليذاكر معك كما هى العادة..

وقالت الابنة وهى تضحك ضحكة مسكينة

— لقد قررنا أن نجـرب الشـوق.. شوق كل منا للآخر..

وقالت الام وهى أكثر شماتة

— لماذا الشـوق يـا ابنتى.. لقـد قلت إنـه ليس بينكما حب ولا مــا يمكن أن يتطــور إلى حب.. فما حاجتكما إلى الشوق



وقالت الابنة وهى ترفع انفاسها فى رفق

— صداقة ايضـا فى حاجـة إلى الشـوق.. كل العواطف الحلـوة محتاجة إلى الشوق.. انى فى حاجه إلى الشوق إليك انت يا ماما.. عندما أغيب عنك ثم أعـود إليك أحس بفرحـة تعـوضنى عن الخناقـات التى تدور بيننا إذا ما انقضت الأيام وبوزى فى بوزك

وقالت الأم محتدة

— على كل حال الوقت ليس مناسبـا لهذا الكلام.. انه وقت مذاكرة وامتحانات .

وقالت الابنة فى حسرة ..

— لهذا قررنا أن نجرب الشوق ..

وقالت الأم فى دهشة .

— لماذا ؟

وضاقت عينا الابنة كأنها تهم بالبكاء وقالت

— لأننـا اكتشفنا ان كـلا منـا ينشغل بالآخـر عن المذاكـرة وعن الامتحانات ..

ومالت الأم بظهرها على المقعد وانتفخ صدرها بالغرور وقالت :

— هذا مـا كنت احسب حسـابه .. وقد حـذرتك منه .. وعـارضت دعوة عصـام ليذاكـر معك فى البيت .. وقلت لك انه لا يمكـن ان ينفرد ولد وبنت إلا وكان ثالثهما الشيطان .. أو ثالثهما الحب ..

وقالت الابنة فى صوت ضعيف .

— أنا لم أخش الشيطان ولكنى خشيت الحب ..

وقالت الأم المغرورة

— هذا ما يطمئننى عليك .. انك تهربين دائما من الحب ..

وقالت الابنـة وهى تطلق نظراتها الى بعيـد كأنها تحادث نفسها

— إنى ضحية . كل بنات هـذا الجيل ضحايا

انّنا نحاول ان نبني مجتمعا جديدا ونفرض تقاليد وعادات جديدة دون ان يكون احد من قبلنا قد جرب هذا المجتمع ولا نحن جربناه ولا فهمناه .. ان المجتمع الامريكي يطلق حرية البنت في ان يكون لها صديق Boy friend . وفي كل ليلة يوم السبت ونهار الأحد تختار صديقا لتخرج معه . وتظل بين الأصدقاء الى ان تستقر مع صديق واحد لا تغيره يسمونه Steady Boy friend وتبقى مرتبطة به سنوات تنتهي عادة بالزواج .. واذا لم تنته بالزواج فلا يهم .. لا أحد يعترض أو يعلن فضيحة .. وكل ذلك وضع طبيعي في المجتمع الأمريكي حتى ان الأم اذا وجدت أنه ليس لابنتها صديق اعتبرتها فاشلة اجتماعيا .. واتهمها المجتمع بأنها ناقصة في عقلها أو في جمال انوثتها .. وكل هذا يعتبر طبيعيا لأن التقاليد ليست جديدة . انها تقاليد عاشتها الأم وأم الأم .. أما نحن فكل شيء جديد .. وعندما تطالب البنت ان تدعو صديقها ليذاكر معها في البيت تحس انها تحاول اكتشاف عالم جديد.. عالم مجهول لم تره ولم تعش فيه أمها حتى تدلها عليه .

وهذا ما أحسست به منذ بدأت اذاكر مع عصام في البيت .. احسست كأني دخلت عالما مجهولا .. اصبحت ارتعش اذا لمست اصابعي أصابعه لأني لا أعرف الى ماذا يمكن ان تنتهي اليه هذه اللمسة .. وأصبحت اتعمد ان أبعد قدمي حتى لا تحتك بقدمه من تحت المائدة التي نذاكر عليها .. وكان مجرد احتكاك قدمي بقدمه يعتبر كأني استسلمت له .. وقد قاومت طويلا وأنا أخاف ان تتطور علاقتنا .. والمقاومة بدأت تشغلني عن المذاكرة .. واعتقد انه هو أيضا أصبح يقاوم . فانشغل كل منا بالمقاومة عن المذاكرة .

وقاطعتها الأم في حدة .

— الى أي حد وصل تطور علاقتكما . وقالت الابنة ضاحكة .



— ماما .. ماذا تفعلين لو رأيتني انا وعصام نتبادل قبلة ؟

وصرخت الأم .

— اذبحك .. واجعل ليلتك سوداء

وقالت الابنة بلا مبالاة .

— انهم في امريكا يعتبرون القبلة بين البنت وصديقها أمرا طبيعيا. وقبضت الأم على يد ابنتها وقالت وهي تضغط عليها وتهزها في عنف .

— هل اصبحت امريكية ؟

وقالت الابنة ضاحكة :

— ياريت .. كنت على الأقل قد خرجت من الحيرة بين تقاليدنا وتقاليد امريكا .. واطمئني .. لم يحدث بيني وبين عصام قبلات . فقط نظرات تحمل معنى القبلة .

وتركت الأم يد ابنتها وقالت في قرف :

— المهم .. على ماذا اتفقتما انت وعصام ؟

وقالت الابنة وقد عادت تنظر الى بعيد :

— اتفقنا على ان اذاكر وحدى .. وأن التقي به بعد المحاضرات في حديقة الأورمان لاراجع ما ذاكرته معه . انى أحس بالأمان معه أكثر مما أحس بالأمان وانا هنا في البيت على مائدة الطعام .

وقالت الأم ونظراتها حائرة :

— ولكني أصبحت أحس بالأمان عليك اكثر عندما يكون معك هنا .

وقالت الابنة ضاحكة

— هذا تطور كبير .. انك ارتفعت الى العالم الجديد .. العالم الذي يبحث عنه جيلنا .. على كل حال فليس معنى هذا أن عصام لن يأتي لزيارتنا لقد دعوته لتناول الشاي غدا

وقالت الأم وهي اشد حيرة

— إنى لا أفهم ما بينك وبين عصام
وقالت الابنة وهى تشارك امها فى حيرتها .
— ولا انا استطيع ان أفهم ما بينى وبينه
قالت الام وهى تنظر الى ابنتها فى لوعة
— يا ابنتى طمئنينى .. مـاذا بك ؟ .. لقد مضى عليك يـومان وانت تقصدين العزلة ولا تتكلمين
وقالت الابنة ـ وهى تتنهد كأنها تريح نفسها من ثقل اسرارها
— ليس بى شىء.
ونظـرت الأم الى الابنة طـويـلا كأنها تحاول أن تدخل فى أعماقهـا وقالت وهى تبتسم فى خبث كأنها عرفت السر
— ما أخبار صديقنا عصام ؟
وسكتت الابنة .. لم ترد
وعادت الأم تقول
— لماذا لا تتكلمين .. ما أخبار عصام ؟!
وقالت الابنة فى عصبية
— لم أعد أراه..
وقالت الأم فى دهشة
— لماذا .. ماذا حدث بينكما ؟
وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة مرة ساخرة
— لقد بدأ يتحدث عن الزواج .
وقالت الأم وهى أشد دهشة
— هل يريد أن يتزوج ؟
وقالت الابنة من خلال ابتسامتها الساخرة
— لم يقلهـا صراحة .. ولكنـه يتكلم عن الـزواج عموما .. ويتمناه لنفسـه .. ويقول انه يستطيع حل كل المشـاكل التى يمكن ان تعترضـه وقـالت الام فى حيرة



— وماذا يغضبك من الكلام عن الزواج ؟
قالت الابنة ساخطة .
— أنا لا أعطى الشاب حق الكـلام عن الزواج إلا اذا كان يستطيع الـزواج فعـلا .. وان يسكت عن الكـلام الى أن يستطيع .. وعصـام لا يستطيع الزواج الآن .. انـه لن يتخرج قبل عـامين . ويحتاج على الاقل الى خمس سنـوات بعـد التخـرج حتى يستطيع ان يتحمل مسئـوليـة نفسه ومسئولية بيت .. فلماذا يتحدث عن الزواج الآن؟
وقالت الأم وهى تحاول ان تخفف عن ابنتها :
— ان من حقه ان يتحدث عن آماله.
— وقالت الابنة فى حدة :
— إن الزواج أمـل خطر .. أمل معـرض دائما للخديعـة والكذب .. والزواج هـو أمل بالنسبـة للبنت لانه يتعلق بـوضعها الاجتماعى كما سبق ان قلت لك .. أمـا الرجل فليس فى حـاجة لأن يعيش أمل الـزواج ويجب ان يكـون الزواج بـالنسبة لـه واقعـا .. أى لا يفكر فيـه إلا اذا استطاع ان يفرضـه كواقع .
وقالت الأم وقد عادت الى حيرتها :
— ولماذا تتحدثين بهذه العصبية وهذا السخط .. كأنك تريدين ان تنهد الدنيا على من فيها ؟
وقالت الابنة وهى أشد ثورة :
— لان الأمل فى الـزواج هـو المبرر لكل المصـائب التى تقع فيها البنات .
وقالت الأم وهى مطمئنة
— ولكنك قلت ان عصـام شـاب كـامل مهـذب لا يمكن أن يطمع فى شىء يمسك
قالـت الابنة وهى تديـر وجهها كأنها خجلـة من أمها :

— انه كامل ومهذب ولكنه فى النهاية شاب .. بنى آدم

وقالت الام فى جزع

— ماذا تعنين ؟!

وقالت الابنة من خلال ابتسامة ساخرة :

— انه منذ بدأ يتحدث عن الزواج اصبح يتعمد ان يمسك بيدى طويلا عندما نلتقى فى حديقة الاورمان وصرخت الام

— ولماذا تتركين له يدك .

وقالت الابنة كأنها ترثى لنفسها .

— إنى أحس بضعف نحوه .. وقد حدث ما هو اكثر .

وانتفضت الأم صارخة وهى تمسك بكتف ابنتها كأنها على استعداد لأن تخنقها .

— ماذا حدث .. تكلمى .. ماذا حدث ؟!

وقالت الابنة فى استسلام .

— تركته يقبلنى

وقالت الأم وهى تهز ابنتها فى عنف :

— كيف قبلك .. وأين ؟.

وقالت الابنة وهى مستسلمة :

— تركته يقبلنى على شفتى .. فى حديقة الأورمان وصرخت الأم بأعلى صوتها .

— يا مصيبتى . يا فضيحتى يقبلك على شفتيك فى حديقة الأورمان .. امام الناس ..كم طالبا وطالبة رأوكما ؟

وقالت الابنة وكأنها متعجبة من عقلية أمها

— يا ماما .. لم يرنا احد .. لقد كنا خلف الشجرة .. هذا يحدث فى كل الحدائق .. ثم .. انها مجرد قبلة واحدة .. لم يحدث بيننا أى شىء آخر

وقالت الأم الثائرة



— ماذا تعنين انها مجرد قبلة.. القبلة حرام واللاحلال ؟. لا .. انها حرام .. مادامت النية التى دفعت اليها لا تجوز إلا فى الحلال .. ثم لماذا لا تحترمين شفتيك وتحرصين عليهما كما تحرصين على بقية أعضاء جسدك لماذا يكون شرف البنت معلقا بجزء واحد من جسدها وباقى الجسد مباحا .. لماذا لا تكون شفتاك شريفتين كصدرك وجزعك ولماذا يكون الجنس المحرم هو فقط النوم مع الرجل .. ان القبلة أيضا تعتبر ممارسة جنسية .. انى لم أعرف القبل الا بعد الزواج .

ونزعت الابنة نفسها من أمام أمها وقالت وهى تجرى خارج الغرفة

— لك حق يا ماما

* * *

قالت الابنة وهى تلقى بكتبها فى عصبية بعد أن عادت من الجامعة.

— كل الرجال يستحقون القتل «تصورى» .. أبو صديقتى خديجة تزوج .. الرجل العجوز الذى وصل الى الخمسين تزوج من جديد .. باسم النبى حارسه أصبح عريسا فى شهر العسل .

وقالت الام فى جزع .

— وماذا فعلت خديجة ؟

قالت الابنة فى سخط :

— ماذا تستطيع ان تفعل غير ان تبكى .. اننا لم ندخل اى محاضرة فى الجامعة اليوم وجلسنا نبكى معا أواسيها بدموعى

— وماذا فعلت أمها ؟

وقالت الابنة الثائرة

— ماذا تستطيع هى الاخرى ان تفعل .. انها تجلس فى البيت صامتة كأنها اصيبت بالشلل .. وكل الأولاد خاصموا آباهم .. وقد بلغ من وقاحته انه يذهب اليهم كل يوم ويتناول طعام الغذاء معهم ثم

**يقوم بعد الغداء ويقول كلمة واحدة : هل تريدون شيئا ؟. ثم يخرج الى عروسه الجديدة فى الشقة الجديدة التى اشتراها لها ولا يرونه إلا فى موعد غداء اليوم التالى .. ماذا كنت تفعلين لو كنت مكانها ؟ .**

**وصرخت الأم :**

**— بعيد الشر .. لن أكون أبدا مكانها .. ان اباك ليس من هذا النوع من الرجال .**

**وقالت الابنة فى الحاح:**

**— افرضى .. مجرد فرض .. انك تزوجت هذا النوع من الرجال .. ماذا كنت تفعلين ؟ .**

**وقالت الأم وعيناها تبرقان فى غيظ :**

**— اقتله واقتل نفسى .**

**وقالت الابنة .**

**— هذا ليس حلا .**

**وقالت الأم وكأنها اكتشفت الحل :**

**— لك حق .. لا اقتله ولا اقتل نفسى .. إنما اقتلها هى .. هى التى سرقته منى ومن بيتى .**

وقالت الابنة وكأنها بدأت تخطط للمستقبل :

— وهذا أيضا ليس حلا .. الحل هو ان نبدأ أولا فى البحث عن الأسباب التى تدفع الرجل الى الزوجة الثانية .

وصاحت الأم :

— مهما كانت الأسباب . فهناك ما يسمى الطلاق .. ولو طلق الرجل زوجته ليتزوج أخرى فهذا أرحم من ان يجمع بين زوجتين .. أرحم من ان يجعل الرجل من نفسه سلطانا يعيش فى سوق الجوارى .

وقالت الابنة كأنها تلقى محاضرة

— هناك أسباب لا تبرر الطلاق .. كأن ينجذب الزوج الى امرأة أخرى انجذابا جنسيا .. وقد



لايتزوج هذه المرأة الأخرى ولكنه يعاشرها معاشرة الأزواج وهذا يحدث فى مجتمعات أوروبا وامريكا . المجتمعات المتقدمة يتزوج بنحب عشيقة وقد تتخذ الزوجة هى الأخرى عشيقا لمجرد الانجذاب الحسى . وقد تكون هناك أسباب متعلقة بالتقاليد الدينية تمنع الطلاق . فالكنيسة الأرثوذكسية خصوصا فى بلاد امريكا اللاتينية تحرم الطلاق تحريما مطلقا فيضطر الزوجان اللذان لا يطيق احدهما الآخر الى الانفصال .. مجرد الانفصال .. ثم يعيش الزوج مع امرأة اخرى بلا زواج وتعيش الزوجة مع رجل آخر بلا زواج أيضا .. وقد انتشرت هذه الحالة على مر السنين الى ان اعترف بها المجتمع فى بعض هذه البلاد .. كمجتمع الأرجنتين .. يعترف بالعلاقة بين الرجل والمرأة بلا زواج حتى لو كان كل منهما مرتبطا بعلاقة زواج رسمية لاتتعدى دفاتر التسجيل .

وصرخت الأم

— هذه مصيبة .

وعادت الابنة تقول وكأنها لم تسمع صرخة أمها

— وهناك تقاليد دينية عكسية .. فالدين الاسلامى لا يسمح ان يمس الرجل المرأة إلا بعد الزواج الشرعى .. وبما ان الرجل يريد ان يمس اكثر من امرأة .. وبما ان الدين الاسلامى يعطى الرجل حق الزواج بأربع نساء .. فهو يتزوج أربعا ثم يطلقهن ليتزوج أربعا أخريات .. إنى سمعت عن رجل من رجال البترول يتزوج كل أسبوع زوجة جديدة .. ربما تزوج حتى اليوم مائة زوجة .. زواجا شرعيا .. حلالا .. انه رجل متدين .

وصرخت الأم :

— مصيره جهنم .. فقد اشترط الدين على الرجل ان يعدل بين الزوجات .. فكيف يعدل بين كل هاتيك الزوجات .

وقالت الابنة ساخرة .

انه يعدل بعدالة يفرضها سوق الجوارى .. عدالة المساواة بين العبيد ..

ثم هناك أسباب أخرى قد لا تدفع الى الطلاق .. فالرجل الفقير يتزوج أكثر من زوجة ليزيد انتاجه من الأولاد . لأن الأولاد يعتبرون بالنسبة له مصدر دخل . كما كان مجتمع الفلاحين عندنا .. الفلاح يستغل ابنه فى العمل فى الحقول بمجرد ان يصل الى سن السادسة ويحتفظ بأجر ابنه لنفسه .. أى ان الزواج بالنسبة له هو مصنع لانتاج قوى عاملة تدر الربح .. فيتزوج مثنى وثلاث ورباع لينتج أربعة وخمسة وعشرة من الأولاد .. أى من مصادر الدخل .. الأسباب كثيرة .. هل تعرفين لماذا تزوج أبو صديقتى خديجة ؟ .

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف

— لماذا ارتكب هذه الجريمة ؟

وقالت الابنة ساخرة

— لأن الله فتح عليه ازداد دخله وأصبح غنيا يستطيع ان يفتح بيتا آخر ويشترى امرأة أخرى .

وقاطعتها الأم فى سخط :

— ولماذا لا يعاشر هذه الأخرى بلا زواج ؟

وقالت الابنة كأنها مغتاظة .

— انها امرأة شاطرة . اقنعته ان كل شىء بثمنه . وإنها امرأة شريفة ثمنها هو الزواج على سنة الله ورسوله .

وقالت الأم فى أسى

— هذه مصيبة .

— وقالت الابنة وهى تبتسم فى غرور كأنها وجدت الحل

— كل مصيبة ولها حلال .. ودعينى الآن لأطمئن على خديجة بالتليفون .. وسأعود اليك .



قالت الأم وهى تستقبل ابنتها فى لهفة

اين كنت .. انى انتظرك منذ ساعات لتطمئنينى عما تفعله صديقتك خديجة بعد ان تزوج ابوها .. وقالت الابنة وهى تلقى نفسها على المقعد فى اعياء :

— لقد استدعتنى خديجة لأساعدها على انقاذ أمها .

وخبطت الأم على صدرها وقالت فى جزع :

— هل حاولت أمها الانتحار ؟ .

وقالت الابنة وهى تلتقط انفاسها المرهقة :

— لا . كانت تحاول أن تجمع ثيابها وتذهب الى بيت شقيقها وتطلب الطلاق .

وقالت الأم فى غيظ :

— لها حق .. ان الرجل الذى يفرض امرأة أخرى على زوجته بعد هذا العمر الطويل لا يستحق ان يكون له قيمة الرجال .. ويجب ان تتركه زوجته وتطلب الطلاق .

وقالت الابنة فى هدوء :

— انها بذلك تهدم بيتها .

وصرخت الأم

— انه هو الذى هدم البيت .

وقالت الابنة وهى لا تزال هادئة :

— لا .. انه لوث البيت ولكنه لم يهدمه .. مادام لم يطلق زوجته ولم يقصر فى مسئوليته عن البيت وعن الأولاد .

وعادت الأم تصرخ

— هل تعتقدين ان الزواج هو مجرد مسئولية ؟.

.. ان يدفع الزوج مصاريف البيت والأولاد نظير ان تتحمل الزوجة مسئولية المطبخ وترتيب البيت وتربية الأطفال .. لا يا ابنتى .. ان الزواج هو كيان

اجتماعـــى يقوم اساسا على الرباط الذى يجمع بين الزوج والزوجة وعلى الرباط بينهما هما الاثنان وبين المجتمع .. فهو حين يجمع بين زوجتين فقد مزق هذا الرباط .. مزق ماكان يجمعه بزوجته الاولى ومع كل ما يجمعهما بالمجتمع واساس ... صورة لكرامته الاجتماعية التى كان يعيشها .. كرامته وكرامة زوجته من كرامة زوجته .. افترضى أنه جاءته دعوة اجتماعية ... بمصاحبة زوجته .. نتشرف بدعوة السيد عبدالفتاح مدبولى والسيدة حرمه .. فأى حرم يصحبها معه الى هذه الدعوة .. زوجته الاولى أم زوجته الثانية ؟.

— وقالت الابنة وهى تنظر الى أمها فى اشفاق كانها تتصور أمها فى نفس الموقف :

— لك حق يـا ماما .. إنى أوافقك على كل كلمة تقوليها .. ولكن المشكلة هى ان نبحث عن حل يعيد الحياة الزوجية كما كانت

وقالت الأم ساخرة فى مرارة :

— وهل وجدت الحل ؟

وقالت الابنة وهى تنظر الى بعيد كأنها تبحث عن الأمل .

— تقريبا ..

وقالت الأم وهى لا تزال ساخرة :

— وماذا وجدت يا حلالة العقد ؟.

والتفتت الابنة الى أمها وقالت فى حماس

— لقـــد اقنعت الأم بأن تبقى فى البيت والا تحاول ان تفرض على زوجها ان يختار بينها وبين الزوجة الثانية .. أما ان يطلقها أو يطلق الثانية

وصرخت الأم

— لماذا .. هذا حقها .. هذا اقل ما تصون به كرامتها .



وقالت الابنة وهى لا تزال مندفعة فى حماسها

لو فرضت عليه الاختيار فليس هذا فى صالحها .. انه سيبدأ فى ... بينها وبين الثانية .. وسيتصور ان الثانية قد ضحت اكثر فى ... انها قبلته وهو زوج لأخرى .. فى حين ان الزوجة الأولى ... التضحية لأنها لا تحبه قدر ما تحبه الثانية .. وسيجد ان ... تعطيه فى بيتها وقتا سعيدة مريحة حلوة .. فى حين لا يجد فى ... سوى التوبيخ والحساق ومعاملته كأنه محرم .. فاذا ... وهو فى هذه الحالة ان يختار فلا شك انه سيختار الثانية

... الأم فى غيظ

... العمل ؟

وقالت الابنة وذكاؤها يلمع فى عينيها

... هو ان تتركه الى ان يقرر بنفسه الاختيار .. ولنتساءل ... تزوج مرة الثانية .. انه لم يتزوج لأنه كان ينقصه شىء فى ... فى المجتمع ... بعكس ... زوجته معروف عنها انها ست ... وسيدة مجتمع ناجحة .. ولكنه تزوج الثانية بدافع ... جنسى .. أراد ان يجدد شبابه الجنسى .. وهذه الزوجة الثانية أصغر سنا ثم انها طبق جديد اقصد جسدا جديدا فتح شهيته .. فتزوجها .. ولكن العلاقة الجنسية لا تلبث ان تذبل تحت ضغط الملل والروتين كما يحدث دائما بين الأزواج .. وبعد ان تذبل علاقته الجنسية سيبدأ فى المقارنة بين بيته القديم وبيته الجديد .. وأنا واثقة انه سيختار القديم ويعود ...

وقالت الأم متهكمة

— حتى لو ... انه سيحن ... في بيته القديم وفى مجتمعه الذى كان يعيشه ... سيشتاق الى ان يتفرغ لهذا المجتمع كما كان ... لهذا نصحت أم خديجة بأن تطلب من أصدقائها ان

بكثروا من دعوتها ودعوته حتى يظل مرتبطا بهذا المجتمع . وسيأتى يوم يتغلب فيه هذا المجتمع ويجعله يصحح وضعه فيه فيطلق الزوجة الثانية حتى لو كان قد انجب منها .

وقالت الأم وهى دهشة من منطق ابنتها

— أفرضى ان هذه الزوجة الثانية كانت من الذكاء والخبث بحيث استطاعت ان تحتفظ به رغم كل ذلك .

وقالت الابنة كأنها عالمة فى علم الحياة الزوجية

— فى هذه الحالة يجب ان تفكر الزوجة الأولى فى مستقبلها قبل ان تفكر فى الطلاق .

وقالت الأم فى تساؤل

كيف ؟

وقالت الابنة وهى تقوم من جانب أمها :

— دعينى الآن يا ماما .. يجب ان افتح الكتاب وأذاكر .. وسأعود اليك .

قالت الأم وهى تنظر الى ابنتها ساخرة كأنها تستهين بعقليتها :

— لقد قلت ان الزوجة البائسة يجب ان تفكر فى مستقبلها قبل ان تفكر فى الطلاق . فأى مستقبل ينتظر الزوجة بعد الطلاق إلا إذا كانت زوجة تعمل وتكسب وتستطيع ان تعتمد على نفسها .

وقالت الابنة وكأنها تشفق على امها من جهلها

— حتى الزوجة التى تعمل يجب ان تفكر فى مستقبلها قبل الطلاق .. فالزواج ليس مجرد وضع اقتصادى يحدد دخل العائلة وكم يدفع الزوج وكم تدفع الزوجة .. ولكنه ايضا وضع اجتماعى يحدد شخصية المرأة فى المجتمع .. وهناك فرق كبير بين الشخصية الاجتماعية للزوجة والشخصية الاجتماعية للمطلقة .. ويجب على المرأة قبل ان تطلب الطلاق ان تحدد قدرتها على تحمل هذه



الشخصية الاجتماعية الجديدة .. كيف تعيش بين الناس .. وكيف تتلقى الدعوات . وما هى الصفة التى تقدم بها نفسها .. ومن تصاحبهم ومن لا تصاحبهم .. وأين تذهب وأين لا تذهب .. والواقع ان حرية الزوجة فى المجتمع أوسع من حرية المطلقة .. فالمطلقة تثير الهمسات والأقاويل حول حياتها الخاصة فى كل مجتمع . والزوجات يتعاملن بحرص مع المطلقات ويتعمدن ألا يرفعن الكلفة معهن خوفا من ان تلطش احداهن زوجها . كما ان الرجال هم اكثر جرأة على المطلقات . انهم يعتبرون كل مطلقة كأنها فريسة سهلة . ولهذا فالمطلقة تضطر ان تبذل جهدا كبيرا وتحرم نفسها من كثير من المتع الاجتماعية حتى تظل محتفظة باسمها نظيفا وبكرامتها مصونة .

وقالت الأم فى قرف :

— كأنك تقولين ان الزوجة عندما تطلب الطلاق فكأنها قررت الانتحار اجتماعيا .

وقالت الابنة فى هدوء :

— لا يا أمى .. ولكنها تنتقل الى وضع اجتماعى خاص .. حتى أنها دون ان تتعمد تجد نفسهاأقرب الى المطلقات مثلها .. المطلقات يلتففن حول البعض كأنهن يشتركن فى مجتمع خاص بهن . مجتمع له تقاليده الخاصة، ومشاكله الخاصة. وأسلوبه الخاص.. مجتمع يختلف عن المجتمع العام.. ان المجتمع العام ينقسم إلى ثلاثة مجتمعات خاصة.. مجتمع البنات. ومجتمع الزوجات. ومجتمع المطلقات وهو متصل بمجتمع الارامل .. هذا هو واقع المجتمع .. حتى انى اتصور أن تقيم المطلقات نقابة لهن فى كل حى.. نقابة مطلقات مصر الجديدة.. ونقابة مطلقات الجيزة.. ونقابة مطلقات طنطا.. وتتولى كل نقابة توفير الحياة الاجتماعية لعضواتها وحمايتهن من كلام الناس وحماية حقوقهن

وقالت الأم مقاطعة

— دعك من هذا التخريف.. انك لم تقولى بعد كيف تحدد الزوجة مستقبلها قبل أن تقرر الطلاق .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى بعيد فى حيرة

— لست أدرى.. كل زوجة لها ظروفها الخاصة.. وانا أعرف حكاية عجيبة.. فقد كان هناك زوجان اكتشفا انهما لا يمكن أن يستمرا معا فى الحياة الزوجية.. ولكن الزوجة خافت من أن تعيش كامرأة مطلقة، وكان الزوج انسانا كريما حريصا على تأمين زوجته، فاتفقا على أن ينفصلا.. كل منهما يعيش وحده.. ويؤجل الطلاق إلى أن تطلبه الزوجة أو يطلبه الزوج.. أى إلى أن يكتشف أحدهما انه أصبح فى حاجة إلى الطلاق. وفعلا مضت سنوات والزوجة تعيش اجتماعيا باسم زوجها إلى أن وجدت رجلا آخر قبلت أن تتزوجه فطلبت الطلاق من زوجها الأول. وطلقها فى الحال.. والثلاثة يعيشون الآن وهم أصدقاء.. الزوجة والزوج الأول والزوج الثانى

وقالت الأم وعيناها غارقتان فى الدهشة

— ولو كان الزوج هو الذى طلب الزواج أولا لأنه وجد زوجة جديدة.. هل كانت زوجته تقبل وتوافقه فى بساطة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة الفلاسفة

— يجب أن توافقه وتقبل وتتمنى له السعادة فى زواجه الجديد لأن هذا هو الواقع والاعتراف بالواقع أجدى من رفضه أو مقاومته

وصاحت الأم فى انكار

— انك لن تجدى رجلا كهذا الرجل.. رجل يقبل أن تظل المرأة محتفظة باسمه كزوجة بينما تبحث عن رجل اخر لتتزوجه

وقالت الابنة فى حماس

— هذا الرجل أشرف وانظف من عشرات الرجال



يرفضون تطليق زوجاتهم لمجرد الأنانية وحب التملك .. تملك [illegible] ثم [illegible] كل منهم زوجته تهرب من بيته وتعيش مع [illegible] [illegible] وتعطى نفسها الحق فى الارتباط بأى رجل [illegible] باسم الزوج لأنها ليست مطلقة .. أى أن هذا النوع من الرجال [illegible] نفسه أن يترك امرأة تحمل اسمه وتكون عشيقة لرجل آخر [illegible] ويحتفظ [illegible]

وصاحت الأم ساخطة

— ان المرأة التى تقبل أن تكون عشيقة للرجل مهما كانت الأسباب هى امرأة من طبيعتها الاستهانة بالشرف والتردى فى علاقات غير شرعية وغير شريفة.. أن المرأة ليست مسئولة عن اسم زوجها فقط ولكنها مسئولة أولا عن اسم أولادها فإذا قبلت أن تكون عشيقة فهى لا تعتدى بذلك على شرف زوجها وحده بل تعتدى أولا على شرف أولادها

وقالت الابنة فى لهجة محامى الدفاع :

— يا أمى ان الحاجة البشرية تهرب من المبادىء العامة عندما تعجز هذه المبادىء عن تحقيق هذه الحاجة.. ماذا تريدين من امرأة أن تفعل اذا كانت قد طلبت الطلاق وزوجها لا يطلقها .. ان من حقها فى هذه الحالة ان تعتبر نفسها مطلقة.. حرة .

وقالت الأم وهى لا تزال تصرخ

— انها تستطيع أن تلجأ إلى المحاكم وتحصل على الطلاق

وقالت الابنة ساخرة

— ان قضايا الطلاق عبارة عن اشهار للفضائح العائلية .. ما يقال فيها يمرمط من كرامة الزوج والزوجة والاولاد.. ثم لا تنسى ان القضاة رجال ولأنهم رجال فانهم يتأثرون أكثر بمنطق الزوج الذى يرفض الطلاق ويحكمون باسم الحرص على

الحياة العائلية.. وكم من الجرائم ترتكب باسم الحرص على الحياة العائلية

وقامت الأم واقفة وقالت وهى تخرج من الغرفة

— كفى .. لا أريد أن أسمع المزيد .. ان الكتب التى تقرئينها قد سممت عقلك.

وقالت الابنة ضاحكة .

— انى واثقة من انك تريدين أن تسمعى المزيد.

● قالت الابنة وهى تبتسم فى غرور كأنها تعودت أن تكون أستاذة لأمها :

— لماذا لا تسأليننى عن مستقبل الزوجة المطلقة حتى نتم حديثنا؟

ورفعت الأم رأسها وكأنه رأس مثقل بالهموم وقالت فى حدة .

— لا طلاق ولا زواج .. دعينى فى حالى .. انكن تضيعن الوقت فى الكلام الفاضى والفلسفات السخيفة هربا من هموم الواقع

وقالت الابنة فى جزع وهى تشفق على أمها

— أية هموم يا ماما ؟

وقالت الأم فى سخط وهى تنظر إلى ابنتها فى غيظ :

— هموم الحسابات.. انك تأكلين وتشربين وتلبسين وتخرجين وتدخلين دون أن تحملى هم الحسابات.. دون أن تسألى نفسك بكم أكلت وبكم شربت وبكم لبست.. أنا وحدى فى هذا البيت التى تسأل نفسها كم دفعت وكم بقى معها من مصروف البيت.. أنا لم أعد أمكم إنما أنا دفتر حسابات يضع نفسه فى خدمتكم.

وقالت الابنة وهى تبتسم فى حنان

— أنت لست دفتر حسابات.. أنت وزيرة المالية.

وصاحت الأم :

— لقد قررت وزيرة المالية الاستقالة وتعالى



حضرتك وامسكى الحسابات وتولى المصروف.

ومالت الابنة تقبل أمها وقالت ضاحكة :

— اجتمع مجلس إدارة العائلة ورفض الاستقالة.. وقرر أنى خيبة ولا أساوى شيئا بجانب ماما.

وهدأت الأم وقالت وهى تتنهد فى أسى :

— الحالة أصبحت صعبة جدا يا ابنتى.

وقالت الابنة مواسية :

— انها صعبة منذ زمن طويل فماذا جد حتى تثورى هذه الثورة.

وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة ساخرة :

— الذى جد أنى أردت أن أشترى لكم كيلو برقوق.

وقالت الابنة فى دهشة :

— وماذا حدث ؟

وقالت الأم فى لوعة :

— هل تعلمين بكم يباع كيلو البرقوق.. بمائة وخمسين قرشا.. جنيه ونصف الجنيه.. وجننت عندما علمت بالثمن . البرقوق بـ١٥٠ وكيلو اللحم بـ٢٢٠ . وعلبة السمن بثلاثة جنيهات.. وكيلو البامية بدأ بـ١٥٠ وتوقف عند ٣٠ .. والبطيخة التى لا تصلح للأكل باثنين جنيه . حتى صابون الغسيل اختفى ولا أدرى بكم يباع فى السوق السوداء.. و.. و.. لم يعد مرتب أبيك يكفى لتعيش حتى لو نال عشر علاوات ومكافآت.

وسكتت الابنة برهة كأنها تفكر ثم قالت :

— الواقع أننا يجب أن نغير أسلوب حياتنا.

وصرخت الأم

— لا تبدئى فى الفلسفة.. لا تدوشى دماغى بآرائك السخيفة .

وقالت الابنة وهى ترد على صرخة أمها

— دعينى أقل لك كيف يعيش الناس العقلاء فى

أوربا أو فى أمريكا  انهم هناك لا يشترون البرقوق بالكيلو ولكنهم يشترونه بالواحدة. ولا البرتقال . ولا الموز . كل شىء يباع بالقطعة.. بالواحدة  وكان يمكنك أن تشترى أربع حبات برقوق . واحدة لى وواحدة لك وواحدة لبابا وواحدة لأخى.. هذا يكفينا.

وصاحت الأم فى حدة :

— هل أضع أربع برقوقات على المائدة.. هل سرقتها من على الشجرة  أم خطفتها من الجيران  انها تكون فضيحة

وقالت الابنة وهى أشد حدة :

— الفضيحة أن نشترى لمجرد استكمال المظهر، وتعتقدى أن المظهر هو الذى يفتح الشهية للأكل.. فى حين أنه يكفى كل واحد منا برقوقة.. مجرد مذاق حلو نختم به الأكلة.

وقالت الأم ساخرة

— الباعة لا يبيعون البرقوق بالواحدة ولكنهم يبيعونه بالكيلو.

وقالت الابنة جادة

— تستطعين أن تطلبى من البائع أن يزن لك الأربع حبات.  وقد تزن ربع كيلو أو واحدا على عشرة من الكيلو  ولا تدفعى إلا قيمة وزنها  ثم أننا نأكل بطيخة كاملة فى الوجبة الواحدة فى حين أن هذه البطيخة يمكن أن تكفينا ثلاث وجبات على ثلاثة أيام ..

وقالت الأم فى سخط :

— هذا كلام فاضى .. خرافات فلسفية لا يمكن أن يقبلها الواقع..

وقالت الابنة فى هدوء :

— يا أمى افهمينى .. اننا نسرف فى ملء بطوننا.. وهو دليل التأخر ، لأن غريزة الأكل هى متعة للانسان .. وكلما كان الانسان متأخرا اشتدت سيطرة غريزته عليه . فنحن نأكل لا نقدر حاجاتنا للأكل ولكننا نأكل مستسلمين لمتعة الأكل



نفخنا بطوننا .. بعكس الانسان المتقدم فهو يحاول أن يعود نفسه على ألا يأكل إلا بقدر حاجته .. ونحن هنا نأكل ثلاث وجبات فى اليوم .. وفى كل وجبة نلتهم ثلاثة أطباق .. طبق من الخضراوات وطبق من اللحم وطبق من الأرز ثم فوق ذلك طبق الحلوى أو الفاكهة .. فى حين أن الانسان الراقى عود نفسه على ألا يأكل إلا وجبتين كاملتين .. وجبة الافطار ثم وجبة العشاء المبكر ، أى عشاء الساعة السابعة مساء وهو موعد انتهاء ساعات العمل .. وفى كل وجبة يتناول طبقا واحدا يجمع بين كل الاصناف  أى أن كل ما يأكله لا يزيد على سعة طبق واحد لا سعة ثلاثة أطباق كما نفعل نحن .. وبعده يتناول طبق الحلوى أو الفاكهة ..

وقالت الأم ساخرة

— خلاص .. من اليوم سألغى طعام الغداء أو طعام العشاء ..

وقالت الابنة فرحة

— انك ستوفرين ربع المصروف.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى استخفاف .

— بالعكس يا عبيطة.. ان أباك وأخاك ان لم يجدا الغداء أو العشاء فى البيت فسيبحثان عنه خارج البيت ويزيد المصروف بذلك إلى الضعف.

وقالت الابنة فى حسم

— بالنسبة لنفسى.. سألغى من حياتى طعام الغداء وسأكتفى بالعشاء المبكر  سأعود الشغالة على أن تعد لى المائدة فى الساعة السابعة مساء كل يوم

وقالت الأم فى مرارة

— الشغالة خرجت يست هانم.. همومى ليس لها حد

قالت الابنة وهى تهدىء من ثورة أمها

— يا ماما يجب أن نستغنى عن أى شغالة أو شغال . خلاص انتهى عصر شغالات البيوت.. لم يعد هناك لا خدم ولا حشم
وقالت الأم فى ثورة
— لا .. لايزال هناك خدم وحشم.. وبيوت كثيرة تضم شغالين السفرجى والطباخ والدادة والسائق ولكن كل الشغالين أصيبوا بالجنون.. جنون العظمة. إن كلا منهم أصبح يطالب بمرتب حريج جامعة لقد سمعت أن هناك طباخا يعمل لدى أحد الأجانب يتقاضى مائة جنيه فى الشهر.. مرتب وكيل وزارة . والبنت المفعوصة التى جاءت لتعمل عند جارتنا طلبت عشرين جنيها فى الشهر.. هذا جنون ..

وقالت الابنة وهى تبتسم مواساة لامها :
— لهذا يجب أن نستغني عن الشغالين.
وقالت الأم مقاطعة :
— لا أستطيع.. لقد نشأت وتربيت والبيت يعتمد على الشغالين.. لقد كنا زمان نستدعي بنات قريتنا ليعملن عندنا فى البيت.. ونخصص لكل منهن مرتبا «جنيها واحدا» أو إذا كانت البنت كبيرة فقد تصل «اتنين جنيه» ولم تكن تقبض مرتبها ولاحتى تعطيه لاهلها بل كانت أمى تدخره لها حتى تصل إلى سن الزواج فنزوجها من القرية وتعيدها إلى هناك وهى تحمل جهازها الذى اشتريناه لها من مدخرات مرتبها.
وقالت الابنة ساخرة
— كان هذا زمان يا ماما.. ونحن لا نعيش أيام زمان.
وقالت الأم فى أسى
— هذا صحيح .. لم تعد بنات الفلاحين يردن العمل فى البيوت . كل منهن تسعى لتعمل فى مصنع أى تصبح موظفة حكومة.. لم يعد



امـ..ـالات قيمة فيها بحيث تستطيع أن تتنى البنات ليعملن فى البيوت وقد بدأنا نعتمد على الشغالين من أبناء المدينة ويا داهية .. كان الولد يعمل بخمسة جنيهات فى الشهر ثم ارتفع أجره إلى .. جنيهات.. ثم إلى خمسة عشر جنيها.. ثم إلى عشرين.
وقالت الابنة بلا مبالاة
— هذا طبيعى كل شىء يرتفع لقد كان مرتبه خمسة جنيهات عندما كان اللحم يباع بعشرين قرشا. وقد ارتفع ثمن كيلو اللحم فيجب أن يرتفع مرتبه بنفس النسبة.
وقالت الأم ساخرة :
— ويا ليته يرضى بزيادة المرتب . إن الشغال بمجرد أن يعمل فى بيت يبدأ فى البحث عن بيت آخر.. وحلمه الاكبر أن يجد خواجة يعمل فى بيته. بيوت الخواجات تغرى بالعمل. كانه يرتقى بنفسه كسفير يعمل فى دولة أجنبية.. فإذا لم يجد خواجة فإنه يبحث عن بيت آخر قد يعطيه مرتبا اكبر . أو قد يجد عائلة عدد افرادها اقل من عدد أفراد العائلة التى يعمل عندها.. أو قد يبحث عن بيت آخر لمجرد تغيير ست البيت .. هناك ست بيت كريمة وست بيت حمارة يسهل خداعها وست بيت واعية لا يستطيع اى شغال أن يخدعها لهذا لم يعد اى شغال يستقر فى بيت أكثر من شهور أو أيام.
وقالت الابنة فى جدية :
— هذا لأن نظام عمل الشغالين فى البيوت لايزال يتم بالطرق البدائية.. يجب أن يكون هناك عقد مكتوب بين الشغال وصاحب البيت.. عقد يحدد حقوقه وواجباته.. ويحدد شروط استقالته.. وينظم له علاوات دورية.. كأنه موظف فى شركة خاصة. بل انى أعلن أن بعض الشغالين فى البيوت الخاصة أصبحوا يطالبون بأن يشترك لهم صاحب البيت فى هيئة التأمينات.

وقالت الأم وهى تضحك فى عصبية

— انك تحلمين أو على الأصح تخرفين. إن الشغال نفســه لا يريد ان يـرتبط بمثل هذا العقـد لأنــه يحس انه أقـوى من صـاحب البيت ويريد أن يحتفظ بحريته.. ثم انه يخشى أن يحرمه مثل هذا العقد من العمولات التى يلهفهـا من الجزار والبقـال والخضرى نظير كل شىء يشتريه للبيت.. لا تصدقى أن هنـاك شغالا لا يلهف.. هذا إذا افترضنا أن كل الشغالة أمناء لا يسرقون.

وقالت الابنة فى اشفاق على أمها

— يا ماما لا تظلمى النـاس . ويجب أن تعترفى بأن نظام الشغالين القديم قد انتهى

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها فى ضيق :

— أنت تعلمين اننـا جـربنـا النظام الجديـد.. استئجـار الشغـال باليوم. الطبـاخ يأتى إلينا مرتين فى الأسـبوع ويطبخ لنـا فى كل مرة ما يكفينا ثلاثة أيـام. هل تعلمين كم يأخذ فى اليوم الواحد.. جنيهين.. اى أدفع لـه فى الشهـر ستـة عشر جنيهــا.. ورغم ذلك فهـو «يلكلك» ويهمل.. انه لا يحس بـارتباطه بهذا البيت وهذه العـائلة فيقدم لها أى شىء. والشغال الـذى يكنس ويمسح وينفض . لقد اتفقـت مع واحد منهم ليأتى إلينا ثلاث مرات فى الأسبوع. كل يـوم بجنيه.. ثلاثة أيام فى الأسبـوع.. اثنـا عشر جنيهـا فى الشهـر.. ورغم ذلك يهربـون ويشتكون من أن العمل أثقل من أن يتحملوه

وقالت الابنة مواسية

— انهم فى الـدول المتحضرة استغنـوا عن كل الشغـالين سـواء اشتغلوا بالشهـر او بـاليـوم أو بالساعـة.. أفراد العائلة هم الذين يقومـون بخدمة أنفسهم.

وصرخت الأم .

— اذن تفضلى يـا ست يـا متحضرة وخـذى الخيشة والمكنسة وامسحى واكنسى السلم



وقالت الابنة فى هدوء

— لست أنـا التى أكنس وأمسح. انها الآلـة.. إن الآلات الحديثة ستغنيك عن الشغـالين. الغسـالـة الكهـربـائيـة تغنيك عن أم عطية الغسـالـة.. والمكنسة الكهـربائية . وأدوات المطبخ الكهـربائيـة. الآلة أصبحت فى خدمة البيت كما أصبحت فى خدمة كل شىء.

وقالت الأم فى قرف :

— هل تجدين هـذه الآلات فى مصر . وإذا وجـدتها فهل تعلمين كم ثمن الغسالة الكهربائية.. خمسمائة جنيه.. فهل يستطيع كل بيت أن يجد خمسمائة جنيه ليشترى غسالة

وقالت الابنة مبتسمة :

— إنها أقرب إلى ثمن التليفزيـون الذى أصبح فى كل بيت.. ثم اننا سنستطيع شراءهـا بالتقسيط. انهم يبيعـون السيـارات بتقسيط ربع المرتب ويستطيعـون أن يبيعوا الغسـالة بتقسيط واحـد على عشرة أو على عشرين من المرتب.. وستجـديـن أن قيمـة التقسيط أقل من أجـر الشغالة أو الشغال.

وقالت الأم فى زهق :

— انك تتكلمين بمنطق ما تقرئينـه فى المجلات.. لو كنت ست بيت وبعد أن تتزوجى ستفهمين ما أقاسيه من شغل البيت.

وقالت الابنة ضاحكة :

— لن أتزوج إلا بعـد أن أجرى لزوجى امتحـانا صعبا.

وقالت الأم فى دهشة :

— امتحان فى ماذا ؟

وقالت الابنة وهى تجرى ضاحكة من أمام أمها :

— امتحـان فى الكنس والمسح والطهـو وتربية الأطفال

قالت الابنة لامها وفى عينيها نظرات جديدة

— ماما . لقد قررت أن يعود عصام ويذاكر معى هنا فى البيت.
ونظرت الأم فى دهشة ثم قالت فى غيظ .
— جننتينى يا ابنتى.. لقد سبق أن قضينا أياما نفكر ونتعب ادمغتنا حتى قررنا أنا وأبوك أن نسمح بأن يتردد صديقك على البيت ليذاكر معك.. وبعد أيام قلت انك قررت الا تدعينه إلى البيت لانك اصبحت تحسين بضعف نحوه. ضعف الحب وأنت تريدين أن تهربى من الحب.. ثم أصبحت تلتقين به فى حديقة الأورمان لتراجعى معه الدروس كما كنت تقولين.. والآن تريدين أن تعودى به إلى البيت بحجة المذاكرة . هذا كلام فاضى لعب عيال البيت ليس تحت أمرك.. وليس تحت أهوائك المجنونة.
وقالت الابنة وهى تتنهد :
— يا ماما لقد قررت الاعتراف.
وصاحت الأم فى جزع :
— الاعتراف بماذا.
وقالت الابنة فى خفر .
— الاعتراف بأنى لم أعد أستطيع أن أستغنى عن عصام.
وقالت الأم وقد هدأ جزعها .
— ومتى وصلت إلى هذا الاعتراف؟
وقالت الابنة وهى تبتسم فى حياء.
— لقد بدأت أحس بالضعف نحو عصام منذ التقينا فى الجامعة كزملاء ثم اشتد ضعفى عندما دعوته ليذاكر معى فى البيت . ثم تضاعف ضعفى واشتد أكثر وأكثر عندما أصبحت ألتقى به فى حديقة الأورمان واكتشفت أن سبب ضعفى هو أننى أهرب.. أهرب من احساسى نحو عصام أهرب من الحب. ان الهرب من الحب ضعف. فالحب نفسه قوة



ونظرت الأم إلى ابنتها فى ذهول وقالت .
— ما هذا الكلام يا مجنونة.. ماذا تقصدين بأن الحب قوة.. هل البنت التى ترتمى على شاب تسمى قوية.. انها بنت خيبة وعبيطة وترمى نفسها فى داهية.
وقالت الابنة وهى تنظر إلى بعيد كأنها تبحث عن المجهول .
— ليس هذا هو الحب يا ماما.. الحب ليس ارتماء على أحد.. الحب هو احساس ذاتى.. تحس بأن ذاتك تحب.. والتى تهرب من الحب فكأنها تهرب من ذاتها . تهرب من نفسها والبنت القوية هى التى تستطيع أن تعيش ذاتها . أن تعيش الحب دون أن تسقط أو تخسر أو تهان.. وقالت الأم وكأنها تسخر من كلام ابنتها .
— والنتيجة.
وقالت الابنة ساهمة :
— الحب حالة وليس نتيجة.
وقالت الأم وهى مستمرة فى سخريتها :
— ماذا تعنى هذه الحالة يا فيلسوفة الحب.
وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها .
— حالة الحب هى حالة اكتفاء ومسئولية.
وقالت الأم فى قرف .
— ما هذه الألغاز تكلمى بما هو مفهوم
وقالت الابنة الساهمة :
— إن حالة الحب تترك الانسان مكتفيا بما هو فيه.. مكتفية بهذا الرجل لا تتطلع إلى غيره.. ومكتفية بالظروف التى تعيشها مع هذا الرجل حتى لو تمنت تحسن هذه الظروف.. الاكتفاء يعنى السعادة.. فالمرأة التى تحب.. امرأة سعيدة . وفى الوقت نفسه فالحب يفرض المسئولية.. المرأة مسئولة عن الرجل الذى تحبه.. والرجل مسئول عن المرأة التى يحبها

وهي ليست مجرد مسئولية مادية.. ولكنها مسئولية نفسية.. أى يصبح كل منهما مسئولا عن اسعاد الآخر مسئولا عن الاحتفاظ له بابتسامته وفرحته وثقته بنفسه وقوته.. هذا هو الحب.. أى أن الحب هو اكتفاء ومسئولية

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى اشفاق :

— أى أنك قررت أن تكونى مكتفية بعصام ومسئولة عنه..

وقالت الابنة فى هدوء .

— هذا صحيح.

وصرخت الأم .

— هذا جنون .. هذا عبط.. هذه أوهام المراهقات اللاتى يعشن فى القصص الخرافية.. كيف ترتبطين بشاب لم يمض على معرفتك به سوى شهور.. ربما وجدت من يشدك إليه أكثر بعد بضعة أشهر أخرى وأنت مازلت صغيرة وكل سنة تضاف إلى عمرك تضيف إليك احساسا آخر وفكرا آخر ونظرة أخرى للحياة وللناس. ان من تعجبين به وأنت فى الثامنة عشرة ليس هو الذى تعجبين به وأنت فى العشرين.. ثم إذا كنت تقولين أن الحب مسئولية فكيف تحملين مسئولية شاب لا تعرفين عنه ولا عن مستقبله ما يكفى لتحمل مسئوليته.. البنت يجب أن تنتظر حتى يستكمل الشاب مسئوليته عن نفسه حتى تقرر إذا كانت تريد أن تشاركه هذه المسئولية أم لا.

وقالت البنت وكأنها لم تسمع شيئا من كلام أمها :

— قلت لك ان الحب حالة.. وأنا فى حالة حب.. هذا كل ما أنا فيه.

— أنت فى حالة.. ولكن لا أنا ولا ابوك ولا أحول فى هذه الحالة ولم نعد نقبل ان تعيشى حالتك إلى داخل البيت وتفرضيها علينا كلنا

وحرجت



وسقط رأس البنت على صدرها كأنها تجهش بالبكاء

ثم التفتت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تتوسل إليها

— تذكرى يا ابنتى أنك كنت تقولين ان كل ما بينك وبين عصام هو زمالة وصداقة. مجرد صداقة الحب التى بدأت فلماذا لا تنسين قصة الحب التى بدأت بينكما وتكتفين بصداقته

وقالت الابنة وهى ساهمة

— لا يمكن .

وقالت الأم فى رجاء

— لماذا.. إن الصداقة هى العلاقة الحلوة التى أصبحت تجمع بين الجنسين فى الجيل الجديد.

وقالت الابنة فى اصرار

— لا يمكن لأن الصداقة يمكن أن تتطور إلى حب. ولكن الحب لا يمكن أن يتطور إلى صداقة.

وقالت الأم فى عصبية :

— لماذا يا ابنتى .. لماذا ؟

وقالت الابنة فى هدوء

— لأن الصداقة ترتفع إلى مستوى الحب. والحب يأبى أن ينزل إلى مستوى الصداقة افهمينى يا ماما.. ان مطالب الحب تختلف عن مطالب الصداقة.. وقد حاولت فى البداية أن اكتفى بمطالب الصداقة بينى وبين عصام. ولكن مطالب الحب كانت تلح على وتشدنى إلى أن فقدت قدرتى على المقاومة واستسلمت لها و.

وقاطعتها أمها ساخطة .

— ماذا تقصدين بمطالب الحب .. تقصدين الجنس طبعا

وقالت الابنة وهى تهز رأسها نافية

— لا .. لا يا ماما . ان الجنس شىء آخر . ان

اللقاء الجنسي بين الرجل والمرأة يمكن أن يمارس بلا حب وبلا صداقة أيضا ولكن الحب دنيا كاملة الحب كما قلت لك اكتفاء ومسئولية.. ان اكتفى به ويكتفي بي وأكون مسئولة عنه ويكون مسئولا عني.. وهذا الاكتفاء والمسئولية لهما مطالب تختلف اختلافا كبيرا عن مطالب الصداقة

وقالت الأم في رجاء

— جربي يا ابنتي.. جربي الاكتفاء بصداقة عصام

وقالت الابنة في عصبية

— لا يمكن يا ماما .. ان صديقتي آمال كانت تحب محمود وعاشت في الحب سنتين ثم اكتشفا انه حب بلا أمل فقررا أن ينفصلا كحبيبين ويكتفيا بأن يكونا صديقين.. ولم يستطيعا.. أصبحت كلما رأته تنظر إليه كأنه رجل خائن وأصبح كلما رآها ينظر إليها كأنها بنت ضحكت عليه ولعبت به . أصبحت الصداقة بينهما تعذبهما.. بل أصبحت هذه الصداقة تكاد تنقلب إلى كراهية . فقررا أن يبتعدا كل منهما عن الآخر.. لاحب .. ولا صداقة .. وهكذا الحب.. إما أن يستمر وإما أن ينتهي إلى قطيعة .. وأنا في حالة حب مستمر.

وصرخت الأم :

— لقد سبق أن سمحنا لعصام بأن يتردد على البيت لأنه زميلك وصديقك ولا يمكن أن نسمح له بدخول البيت لأنه حبيبك.

وقالت الابنة وهي ترد على صرخة أمها :

— لماذا ؟

وعادت الأم تصرخ :

— لأنه حب حرام.

وصرخت الابنة :

— الحب لا يمكن أن يكون حراما.. الحب عاطفة راقية نظيفة.. الحرام هو العلاقة الجنسية غير الشرعية.. ولن يكون بيني وبين عصام علاقة جنسية أبدا.



وقالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها ساخرة

— الحب هو عاطفة بين رجل وامرأة.. أي بين الجنسين.. أي قائم على لقاء الجنس.. ان نظرته إليك جنس.. وضغطة يده على يدك جنس.. وقبلته مهما كانت عابرة جنس ، حتى ابتسامته جنس لا يمكن أن تكون الابتسامة التي يوجهها إليك هي نفس الابتسامة التي يوجهها إلى أمك.. أو حتى إلى صديقتك . انها ابتسامة فيها رغبة وشهوة وأمل في لقاء جنسي

وسكتت الابنة برهة كأنها تفكر ثم قالت

— إذن اعتبروني مخطوبة لعصام.

وخبطت الأم على صدرها بكفها وصاحت

— يا مصيبتي.. نعلن خطبتك على شاب لايزال طالبا ومن عائلة عادية ولا يعلم أحد مصيره أو مستقبله.

وقالت الابنة في هدوء :

— ماهي الخطبة ؟. انها لقاء شرعي بين شاب وفتاة يبدأ بمحاولة الاحساس بالصداقة.. ثم بمحاولة التطور بهذه الصداقة إلى الحب ثم الوصول إلى ذروة الحب بالزواج.. وقد تستمر الخطبة عاما او عامين إلى أن تصل إلى الزواج . وقد يفشل الاثنان في محاولتهما فيفسخان خطبتهما دون أن يكونا قد خرجا عن الشرع ودون أن يتهمهما أحد في سلوكهما وهذا هو ما بيني وبين عصام . وقد وصلنا بصداقتنا إلى الحب وبقي أن نصل إلى ذروة الحب ثم الزواج.

ونظرت الأم إلى ابنتها في غيظ ولوت شفتيها في قرف وقالت

— إن الخطبة تبدأ بالاتفاق على الزواج.. وهو اتفاق يقوم على مقاييس لحالة الشاب الذي يتقدم للخطبة.. وحالة عصام لا يمكن أن تقنعني أو تقنع اباك بالموافقة على زواجكما ولذلك لا يمكن أن نوافق

على اعلان خطبتكما ثم من قال لك ان الخاطب لا يلتقى بمخطوبته ومعها ثالث ليحميها من اغراء الحسن

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى

— يا ماما انى أحبه

وصرخت الأم :

— الحب لا يدخل البيت

وقفزت الابنة خارجة من الغرفة

وقالت الأم وهى تطلق عينيها وراءها

— إلى أين ؟

وقالت الابنة وهى تجرى

— مادام الحب لا يدخل البيت فسألتقى به فى الشارع.

* * *

قالت الأم وعيناها تطلقان شرارات الغضب

— أين كنت ؟

وقالت الابنة بلا مبالاة

— فى الشارع.

وصاحت الأم

— فى الشارع حتى الساعة العاشرة ماذا كنت تفعلين فى الشارع. هل كنت تقفين تحت فوانيس النور كما تفعل الساقطات

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف

— كنت فى الشارع مع صديقى عصام

وعادت الأم تصرخ

— ماذا كنتما تفعلان فى الشارع

وقالت الابنة وهى تلتقط أنفاسها فى زهق :

— لا شىء فكرت فى أن أدعوه إلى هنا فى البيت، ولكنكم حرمتم عن دعوته ولم افكر ان اذهب اليه فى بيته حتى لا أزعج امه واخوته.. وقررنا ان نسير



الشارع ونأكل ذرة مشوى ونقزقز لب

وشهقت الأم وتنهدت كأنها تستجير بالله وقالت

— ى أصبحت المشكلة الآن هى مشكلة الشارع . كيف ننقذك من الشارع حتى لا تضيعى أوقات المذاكرة،

وقالت الابنة وهى تبتسم ساخرة

لا أمل فى انقاذى إلا إذا اعترفتم بصداقتى لعصام أو أعلنتم خطبتنا

وقالت الأم فى حسرة

— الاعتراف بالصداقة أرحم

وقالت الابنة وابتسامتها تتسع

— على كل حال فالخطبة هى اعتراف شرعى بالصداقة بين الرجل والمرأة هل تعرفين صديقتى سهير لقد مضى على صداقتها لمحمود اكثر من عامين وهما ليسا مخطوبين ولم يعلنا خطبتهما ورغم كل ذلك فكل الناس أصبحوا يعاملونهما على انهما مخطوبان . بل أصبح الناس يدعونهما معا فى الحفلات والزيارات . معنى هذا أنه ليس هناك فارق بين الصداقة المعترف بها والخطبة

وقالت الأم فى حدة .

— إن مشكلتك لم تعد مشكلة صداقة ولا خطبة انها مشكلة حب.. لقد اعترفت بأنك أصبحت تحبين عصام

وقالت الابنة كأنها تشفق على أمها

— يا ماما ان الفارق الاجتماعى فى علاقة الرجل بالمرأة هو السرية أو العلنية . وسواء كانت العلاقة هى صداقة أو خطبة فالمهم هل هى علاقة علنية أم سرية هل يظهر الاثنان أمام الناس بعلاقتهما أم يختفيان بها

وقالت الأم ساخرة

— ما هو الفارق بين العلاقة [illegible]

علنية

وقالت الابنة فى حماس

— الفارق كبير.. إن العلاقة السرية معناها أن كلا منهما يخاف الناس وأن بينهما فضيحة أو خطيئة يريدان اخفاءها عن الناس.. أما العلنية فمعناها أن كلا منهما يفخر بعلاقته بالآخر ويتباهى بها أمام الناس..وليس بينهما ما يخفيانه عن الناس أو يمكن أن يفضحهما فى المجتمع.. سواء ما كان بينهما صداقة أو حبا أو خطبة

وقالت الأم وهى تنظر فى عينى ابنتها :

— وأنت فخورة بحبك لعصام.

وقالت الابنة فى فرحة :

— جدا..

وعادت الأم تقول :

— لم يحدث بينكما ما تخفيانه عن الناس أو عنى.

وقالت الابنة كأنها تزغرد :

— أبدا .. أبدا.

وسكتت الأم برهة سارحة تفكر ثم قالت :

— وماذا تريدين منى أن أقول لأبيك.. هل أقول له ان ابنتك أصبحت تحب عصام وأنها تريد أن تعود وتدعوه إلى البيت ليذاكر.

وقالت الابنة مسرعة :

— لا..لا..لا تقولى له انى أحب أو لا أحب .. قولى له فقط أنى أريد أن أعود إلى دعوة عصام واتركى له أن يكتشف باحساسه ما بينى وبينه.

وقالت الأم فى دهشة :

— وكيف يكتشف ؟

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها

— إن الرجل باحساسه يستطيع أن يكتشف أحاسيس الرجل الآخر.

وقالت الأم وهى لاتزال فى دهشتها



— وإذا اكتشف أن عصام يحبك و نك تحبينه

وقالت الابنة فى هدوء :

— سيبارك هذا الحب بينه وبين نفسه.

وصاحت الأم :

— كيف يباركه.. كيف يثق فى عصام.

وقالت الابنة فى اصرار :

— انه يثق فى أنا.. وثقته فى تجعله يثق فى عصام.. ان بابا كانت حياته كلها نظيفة تجعله قادرا على أن يفرق بين الخير والشر ولايفترض السوء لمجرد أن الحياة كلها سيئات. ان الانسان الذى يفترض السوء هو إنسان عاش السوء.. ان جارنا الأستاذ توفيق يغار على بيته وبناته إلى حد أنهن يعشن معه فى خوف دائم.. هل تعرفين لماذا لأنه هو نفسه فى شبابه وحتى بعد زواجه كان زير نساء وله قصص كثيرة مع كثير من البنات والنساء فأصبح يتصور أن كل ما فعله مع النساء يمكن أن يفعله رجل آخر مع بناته.. أصبح يتصور أن كل من ينظر إلى ابنته فكأنه يدعوها إلى الفراش. وكل من يلمس يدها فكأنه يهم بأن ينتهك عرضها . وأصبح يعتبر أن كل بنت يمكن أن تعطى كما كانت بنات الناس تعطيه. انه يفترض السوء قبل أن يثبت له.. لذلك فهو يضيق الخناق على بناته حتى أصبحت كل منهن تفكر فى الهرب من البيت ومنه. أصبحت كل منهن تفكر فى السوء فعلا.. وأصبح كل رجل بالنسبة لها هو الرجل الذى يصوره الأب لهن.. رجل يأخذهن أنه أب لا يثق فى بناته ولذلك لا يثق فى أى شاب أو رجل يقترب من بناته أما بابا فهو شىء آخر.. لأنه يفترض الثقة إلى أن يثبت له العكس .إنه هو نفسه عاش نظيفا

وقالت الأم وهى تبتسم فى فرحة

— لك حق يا ابنتى .. أبوك شىء آخر

وقامت الابنة بسرعة وهى تضحك .. وقالت الأم

— إلى أين ؟

وقالت الابنة الضاحكة

— سأتصل بعصام في التليفون وأدعوه إلى البيت

وقالت الأم مبتسمة

— آه منك .. آه

* * *

قالت الأم لابنتها ووجهها يلمع بالفرحة

— هل سمعت الخبر.. لقد انتخبوني مقررة للجنة العلاقات العامة بالتنظيم النسائي

وقالت الابنة في برود

— مبروك

وقالت الأم في حماس :

— أريدك أن تكتبي لي كلمة القيها في اجتماع الأسبوع القادم بمناسبة انتخابي

وقالت الابنة وهي أشد برودا :

— لماذا لا تكتبينها بنفسك.

وقالت الأم محتجة :

— ليس في العالم كله امرأة لها شخصية عامة وتكتب الكلمة التي تلقيها بنفسها.. حتى مسز تاتشر رئيس وزراء بريطانيا لها من يكتب الخطاب الذي تلقيه في كل مناسبة

وقالت الابنة وهي تنظر إلى أمها في استهانة

— إن مسز تاتشر مشغولة فلا تجد وقتا لإعداد الخطاب الذي تلقيه، وتستعين بكاتب يسمى «كاتب الظل» ـ أو «قلم الظل» لأنه يكون ظلاً لمن يكتب له. وانت لست مشغولة وأنا لا أريد أن أكون ظلا لك . أريد أن أذاكر يا ماما.

وقالت الأم في توسل وهي تنحني وتمسح على شعر ابنتها

— من أجل خاطري يا ابنتي.. انك دخلت الجامعة وتستطيعين ان تكرمي امك بكلمة تلقيها في الاجتماع

وقالت الابنة وهي تنفث أنفاسها في زهق

— حاضر . سأكتب .. ماذا تريدين أن تقولي بهذه الكلمة

وقالت الأم فرحة باستسلام ابنتها

— اي كلام.. أنت تعرفين ما يمكن أن يقال في مثل هذه المناسبات

وقالت الابنة في عصبية

— لا يمكن أن يقال اي كلام يجب أن نجد موضوعا نعرضه في الكلمة التي تلقيها.. حدثيني عن أخبار التنظيم لعلي اجد موضوعا للكلمة

وقالت الأم وصوتها يلعلع كأنها تزغرد

— الأخبار لا تنتهي . مدام فردوس جاءت إلى الاجتماع الأخير وهي ترتدي ثوبا يجنن.. رائع.. يهبل.. ورفضت أن تقول لنا من أين جاءت به وبكما تأكدنا ان الثوب جاءها من الخارج من ابنتها زوجة مستشار السفارة وتصوري ان ست تفيدة جاءت وهي ترتدي بنطلون.. عبيطة انها سمينة والبنطلون يجعلها كأنها برميل بترول مضحكة.. كأنها الممثل المضحك هاردي يسير وهو يبحث عن لوريل. عندما وقفت بجانب سنية هانم وهي.. كما تعلمين رفيعة وقصيرة أصبحتا هما الاثنتان كأنهما فعلا لوريل وهاردي وعنايات دعتنا إلى اجتماع قهوة حريمي يوم السبت القادم.

ولوت الابنة شفتيها في قرف وقاطعت أمها قائلة

— هل هذه أخبار تقال عن التنظيم النسائي.

وقالت الأم في فتور

— هذه هي أهم الأخبار أما الأخبار الرسمية

فمعروفة

وسرحت الابنة بفكرها برهة ثم قالت فى حماس كأنها اكتشفت اكتشافا خطيرا

— اسمعى يا ماما.. هناك موضوع متعلق بالأزياء النسائية يجب أن تثيريه

وقالت الأم فى دهشة :

— أى موضوع ؟

وقالت الابنة وهى أشد حماسا :

— موضوع الخمار أو البشنيقة التى أصبحت منتشرة هذه الأيام بين البنات والنساء.. يلففن رؤوسهن بطرحة تغطى خدودهن وأعناقهن وتتدلى حتى أكتافهن.

وقالت الأم فى فتور :

— كل امرأة تلبس وتتزين بما تريد مادامت لا تكشف عن عورة.

وقالت الابنة مستمرة فى حماسها

— اسمعينى يا ماما.. إن هدى شعراوى عندما نادت بإلغاء الحجاب لم تحدد ماذا يحل محل الحجاب ليغطى رأس المرأة.. هل هى القبعة.. أم الطرحة.. أم البونيه.

وقالت الأم فى جدية :

— لقد كانت هدى شعراوى تدعو إلى تحرير المرأة وهى تدعو إلى الغاء الحجاب ولكن ليس من حقها أن تفرض ذوقها على المرأة وتختار لها الثوب الذى ترتديه بعد الغاء الحجاب.

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تلح عليها أن تقتنع

— يا ماما ان المرأة ستبقى حرة فى اختيار زيها.. سواء اختارت البشنيقة التى تغطى الشعر والوجنتين والعنق أم اختارت البيكينى الذى يكشف عن البطن والفخذين.. ولكنى أتكلم عن الزى الذى تعترف به.. الزى الذى تضعه المرأة



صفتها الاجتماعية الرسمية.. والملاحظ حتى اليوم أن البشنيقة أو الخمار ليس معترفا به رسميا.. بل يكاد يكون مرفوضا كزى لرأس المرأة ووجهها.. وليس بين السيدات اللاتى يتولين مناصب رسمية من تلف رأسها بالبشنيقة.. لم تظهر وزيرة بالخمار.. ولا نائبة من عضوات مجلس الشعب.. ولا زوجة من زوجات الوزراء أو ابنة شخصية رسمية.. بل قيل انه كان ممنوعا فى الانتخابات الأخيرة التى اشتركت فيها المرأة ترشيح أو انتخاب أى امرأة تلف حول رأسها بشنيقة.

وقالت الأم معترضة

— لماذا.. ان البشنيقة زى يتفق والتعاليم الدينية.

وقالت الابنة فى حماس.

— إن الله لم يرسل مجلة أزياء تتقيد بها المرأة.. الدين يدعو إلى عدم الكشف عما يثير الاغراء.. وإذا افترضنا أن شعر المرأة كان يثير الاغراء فى هذه الأيام بقدر الاغراء الذى يثيره شعر الرجل.. فإذا كشفنا عن شعر الرجل فقد أصبح من حق المرأة أن تكشف عن شعرها.

وقالت الأم فى اصرار :

— بصرف النظر عن تعاليم الدين.. فإن البشنيقة هى الزى الشعبى الذى تتمسك به الفلاحة المصرية فلماذا لا نعترف بالزى الشعبى ويصبح زيا رسميا.. وأن نتمسك بزى الفلاحة بدلا من أن نقلد زى الأجنبيات.

وقالت الابنة وهى أشد اصرارا من أمها

— ان الفلاحة تضع الخمار أو البشنيقة لأنه يتلاءم مع طبيعة عملها.. ان البشنيقة تحمى شعرها ووجهها من أتربة الحقل ومن آثار تنقلها بين المزروعات.. ولكن المرأة فى المدينة ليست فى حاجة إلى هذه الحماية.

وقالت الأم في سخط

— ولكن لماذا تثير كل هذه الأهمية حول البشنيقة . لماذا لا نعترف بها سواء شعبيا أو رسميا .. والوزيرة أو النائبة حرة في أن تتبشنق أو لا تتبشنق

وقالت الابنة في غيظ

— يا أمي ان البشنيقة هي ما كانت تسمى بالخمار .. والخمار كان زى المرأة أيام الحريم .. أيام كانت المرأة مجرد جسد لمتعة الرجل وذلك فالرجل يلفه ويغطيه كما يلف ويغطي صينية البسبوسة أو طبق المهلبية .. وقد انقضى عهد الحريم ويجب أن ينقضي معه عهد الخمار دعيني أكتب ذلك في الكلمة التي ستلقينها في اجتماع التنظيم النسائي .

وقالت الأم في عصبية

— لا أنا لست موافقة على هذا الكلام

وقالت الابنة في دهشة لاصرار أمها

— ولكنك لا تضعين حول رأسك البشنيقة أو الخمار أو الطرحة فلماذا تعارضين

وقالت الأم ساخطة

— سأضع البشنيقة .

وقالت الابنة وكأنها تحذر أمها

— سيطردونك من التنظيم لو رأوك بالطرحة

وقالت الأم في قرف

— ليطردوني ..

وقالت الابنة وهي تقوم وتخرج من الغرفة

— أحسن .. حتى تعفيني من كتابة كلام لا معنى له ولا موضوع

قالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها وهي تقرأ



[illegible] حجابك [illegible] لا [illegible] نفسك [illegible]

— انها تشوه جمال وجهك

قالت الابنة

— انها ليست عادة ولكني [illegible] موضوع [illegible]

[illegible] كلهم

[illegible] الأم في [illegible]

— ماذا تقرئين ؟

— وقالت الابنة وهي تلوى شفتيها في قرف

— أعيد قراءة قانون الأحوال الشخصية الجديد

وقالت الأم ساخرة

— ماذا يهمك لتعيدي قراءته .. أنت لست زوجة حتى تنوى الطلاق . وأهم ما في هذا القانون الجديد هو موضوع الطلاق ..

وقالت الابنة وهي تحاول أن تعود إلى القراءة

— خطر على بالي سؤال أبحث له عن جواب

وقالت الأم وهي تجلس بجانب ابنتها كأنها تنوى أن تتسلى بالدردشة

— أي سؤال ؟

وقالت الابنة وهي تلقى بالأوراق من يديها وتستسلم لأمها

— ان القانون يفرض أن يتخلى الزوج للزوجة عن المسكن بعد الطلاق إذا كانت حاضنة لأولادها ولنفرض أن أم الزوج كانت تعيش معه في نفس البيت . وأن سبب الطلاق كان عدم التفاهم بين الأم والزوجة . فماذا يفعل الزوج بأمه بعد الطلاق .. لو كان وحده فانه يستطيع أن يترك المسكن ويقيم في أي مكان ولكن ماذا يفعل بأمه هل يأخذها معه إلى الشارع أم يكون لها حق البقاء في البيت مع الزوجة المطلقة . خصوصا إذا كانت الشقة باسم الزوج

وقالت الأم متحمسة

— انا لا أفهم فى القانون ولكنى فى هذه الحالة أرى أن تبقى الأم فى البيت ولا تتركه . لأن الطلاق تم بين الزوج والزوجة وليس بين الزوجة وحماتها .. ليخرج هو من البيت ويترك أمه

وقالت الابنة فى ثورة

— هذه تكون مصيبة تقع على راس الزوجة المطلقة إذا تركتها تعيش فريسة بين أنياب حماتها التى كانت سبب الطلاق.

وقالت الأم فى تحد :

إذن ليبحث لمطلقته وأبنائه عن شقة أخرى ويترك أمه . فى حالها ..

وقالت الابنة فى غيظ :

— ولماذا لا يبحث لامه عن الشقة الأخرى ويترك زوجته وأولاده المجنى عليهم فى حالهم ..

وقالت الأم ساخرة :

— انه لن يجد شقة لامه ولا لزوجته إلا إذا كان مليونيرا .. والقوانين لا توضع لخدمة أصحاب الملايين وحدهم .

وقالت الابنة فى حيرة :

— والحل ؟!

وقالت الأم وهى تبدو كأنها أستاذة فى علم الاجتماع

— الحل الوحيد هو أن تتعود الزوجة المطلقة وحماتها السابقة على أن تعيشا فى بيت واحد كأن كلا منهما غريبة عن الأخرى كأنهما تعيشان فى بنسيون كل منهما تستأجر فيه غرفة .

ولا تتبادلان الكلام .. لا صباح الخير ولا مساء الخير.

وسكتت الابنة برهة وهى ساهمة ثم قالت

— هل تعلمين أن هذا يحدث فعلا قبل صدور القانون وبسبب أزمة المساكن .

وقالت الأم فى دهشة

— كيف ؟!

وقالت الابنة فى هدوء



— انى أعرف زوجا وزوجة مطلقين وكانت الشقة باسم الزوجة واشترط الزوج قبل الطلاق أن يقيم فى شقة زوجته إلى أن يجد لنفسه شقة .. وقبلت الزوجة .. وقد مر عامان والمطلق لا يزال يقيم مع مطلقته . وهذا يحدث كثيرا خصوصا إذا كان أحد الزوجين غريبا عن مصر سواء من بلد عربى أو من بلد اجنبى .. حتى اصبح الانسان قد يدخل بيتا وهو لا يدرى هل أصحابه زوجان أم مطلقان .

وقالت الأم وهى لا تزال فى دهشتها

— ولو أراد احدهما ان يتزوج .. المطلقة او المطلق .. فماذا يكون الحال ؟

وقالت الابنة فى سخط دفين :

— يحلها حلال .. على كل حال أن تعديل قانون الأحوال الشخصية تعديل ناقص فى كثير من بنوده

وقالت الأم فى لهفة :

— كيف ؟!

وقالت الابنة فى ثقة

— مثلا .. ان القانون بعد التعديل ينص على ألا يتم الطلاق إلا بعد ابلاغ الزوجة رسميا به .. أى على يد محضر .. فلو فرضنا أن الزوج طلق زوجته فعلا ثم تعمد الا يبلغها لغرض فى نفسه وظل يقيم معها انه فى هذه الحالة يصبح مطلقها شرعا وزوجها قانونا أى يعيش معها فى الحرام والقانون يعترف ويوافق على هذا الحرام .

وقالت الام وكأن ابنتها كشفت لها عن سر خطير

— كيف يمكن أن نتغلب على هذا التلاعب [illegible] الشرع والقانون ؟

وقالت الابنة كأنها أصبحت أكبر من امها

— كان يجب أن ينص فى التعديل على الا يكون [illegible] الزوج حق الطلاق إلا أمام القاضى [illegible]

الـزوجـة إذا أرادت الطلاق فيجب أن تذهب إلى المحكمة فلماذا لا ينزل الرجل إلى مستوى حق المرأة ..

وقالت الأم ساخرة

— فى هذه الحالـة يجب أن يتم أيضا تعـديل شكل المحكمة .. فهم يقـولون أن القضـاة دائماً رجـال وهم لذلـك يتحيزون للـرجل . أى للزوج .. فاما أن تشكل المحكمة من شخصيات نسائية .. أى أن يكون القضاة نساء أو على الأقل يكون نصف أعضـائها نساء والنصف من الـرجال .. وعلى كل حـال يا ابنتى .. لا تنسى أن الشرع يعطى الـرجل حق الطـلاق بمجرد كلمـة تخرج من فمه .. والشرع هـو الحلال مهما وضعنا من قوانين .

وقالت الابنة فى حدة :

— ان القـانـون لا يعتـدى على الشرع ولكنـه يحمى الشرع من الاستغلال والاستهانة .. ان الشرع نفسه يحمى نفسه عندما يقول ان كلمة الطلاق عندما تخرج من فم رجل سكران تعتبر باطلة ..

وقالت الأم كأنها تخفف من حدة ابنتها

— ان الـزواج يا ابنتى هـو رباط بين شخصين بـارادتهما .. ولن يستطيع الشرع ولا القانون أن يحميا هـذا الزواج لو رفضته الارادة .. وانظرى إلى أنا وأبيك اننا نعيش زوجين منذ خمسة وعشرين عاما . لماذا .. لأن ارادتنا تريد أن نعيش معا العمر كله

وقالت الابنة وهى تقوم ساخطة

— انا لن أتزوج أبدا

وقالت الأم فى جزع

— لماذا يا حبيبتى ..

وقالت الابنة وهى تجرى

— لأن هناك طلاقا .

قالت الابنة فى سخط

— هل سمعت بما حـدث لابـراهيـم ابن طنط سعاد ..

وقالت الأم وهى مشغولة بابرة التريكو :

— ماذا حدث له ؟

وقالت الابنة الساخطة :

طرده أبوه من البيت ..

ورفعت الأم رأسها وقالت فى دهشة :

— لماذا ؟

وقالت الابنة وكأنها تصرخ .

لانه مصمم على أن يتزوج فتحية ..

وقالت الأم وهى تلقى بـابرة التريكو كأنها تريـد أن تتفرغ لسماع قصة مثيرة

— ولماذا يرفضون زواجه من فتحية ؟

وقالت الابنة فى عصبية

— يقولون ان سمعتها ليست نظيفـة .. والناس تتكلم عنها .. وقد سبق أن كانت مخطوبة وفسخت خطبتها .. ثم أنها أكبر منه

وقالت الأم فى هدوء :

— إذا كـان هذا الكـلام صحيحـا فلهم الحق فى رفض زواج ابنهم منها ..

وصرخت الابنة :

ولكنهم يعـرفـون أن ابنهم يحب فتحيـة .. وقـد مضى على حبهما عـامـان .. وكـان يخرج معهـا ويدعوها إلى البيت ويقدمها إلى أمه وأبيه .. ثم بعد أن تخرج فى الجامعـة يـريـد أن يتـزوجهـا .. فكيف يرفضون الزواج بعـد أن كانوا موافقين على الحب .. كانـوا فرحين بعلاقة ابنهما بفتحيـة بلا زواج فلماذا يـرفضـون الـزواج .. لماذا يـرحبـون بـالحرام ويرفضون الحلال ..

وقالت الأم وهى لا تزال هادئة

— لا حلال ولا حرام .. ولكن الحب شىء آخر .. الحب علاقة بين اثنين .. قد يدوم أو يزول .. ولكن الزواج علاقة بين الاثنين والمجتمع .. والحب هو حالة ولكن الزواج هو بناء للمستقبل كله . ولذلك فالزواج يتطلب شروطا ومواصفات قد لا يحققها الحب المجرد .. والأهل قد لا يتدخلون فى علاقة حب يرتبط بها ابنهما لانها علاقة خاصة .. علاقة أحاسيس ملك لاصحابها .. ولكنهم يتدخلون فى موضوع الزواج لأن الزواج ليس علاقة خاصة ولكنه علاقة اجتماعية عامة تمس الأهل وتشرفهم أو تفضحهم

وارتفع صراخ الابنة :

— هذا كلام فاضى .. ان الزواج كالحب يقوم على علاقة بين اثنين .. رجل وامرأة . لا يمكن أن يواجه الزوجان المجتمع إلا إذا ارتبط أحدهما بالآخر أولا وكانت العلاقة بينهما علاقة حلوة قوية ولكنها انانية الأهل .. خصوصا أهل الولد .. لا مانع عند الأهل من أن يرتبط الابن بأى امرأة سواء كانت محترمة أو غير محترمة مادام ارتباطا لا يؤدى إلى زواج .. فقط ليمتع نفسه بهذه الفتاة .. بل أن بعض الأهالى يفخرون بأن الابن على علاقة بأكثر من فتاة .. وأن كل البنات تموت فى دباديب ابنهم « الدون جوان » .. ولكنه إذا قرر الزواج فهم لا يفكرون فى متعته ولا فى هنائه ولا فى مستقبله انما يفكرون فى أنفسهم فقط .. ما يشرفهم وما لا يشرفهم .. ويعودون إلى المقاييس القديمة .. ابنة من هذه الفتاة وماذا سيقول الناس عن هذا الزواج .. و .. و .. الأهل يفكرون فى أنفسهم فقط لا فى سعادة ابنهم .

وقالت الأم وهى ترد على صراخ ابنتها

— ولكن تقولين ان سمعتها سيئة

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف

— ومن [illegible] بحقيقة هذه السمعة .. ربما كانت مظلومة .. ان ستنا مريم اتهمت يوما بسوء السمعة .. وحتى لو كانت أخطأت فربما يجعل الخطأ منها ملاكا . وربما تتعمد أن تكون زوجة مثالية وتسعد زوجها حتى تكفر عن خطئها وتنظف سمعتها . والمهم انه مضى عامين وإبراهيم يحب فتحية . وكان لا يمكن أن يستمر هذا الحب ثم يصل إلى حد الاصرار على الزواج إلا إذا كانت فتحية قد اقنعت إبراهيم بشخصيتها وأخلاقها وعقلها

وقالت الأم كأنها ترفض الاقتناع :

— انك قلت إنها أكبر منه سنا ..

والأكبر هو الأشطر .. وربما اقنعته بالزواج بشطارتها ..

وقالت الابنة محتدة :

— انها أكبر منه بعام واحد .. ثم أن توافق الشخصيات لا يعتمد على السن . قد يكون الرجل فى الاربعين وتتوافق شخصيته مع شخصية فتاة فى العشرين ويتزوجها ويعيشان وكأنهما فى سن واحدة .. فإن كانت فتحية أكبر من إبراهيم بعام فهذا لا يؤثر فى توافقهما .. انما شرط السن كان يوضع كمقياس للمتعة .. هل يتزوج الرجل جسدا صغيرا أم جسدا عجوزا ..

وقالت الأم كأنها تريد أن تنهى الحديث

— وماذا فعل إبراهيم بعد أن طرده أبوه من البيت ..

وقالت الابنة وهى تهز كتفيها باستهانة .

— ولا اهتم .. بل انه قال أن اباه حر مادام لا يريد أن يعيش معه ومع زوجته فى بيت واحد وسيتزوجان ويعيشان فى بنسيون .. وأنا واثقة انه بعد بضعة أشهر وبعد أن تقتنع الأم والأب بسعادة ابنهما بهذا الزواج فانهما سيفتحان البيت لهما كما يحدث دائما تحت إلحاح عاطفة الامومة والابوة

وسكتت الأم برهة ثم قالت وكأنها فى حزم

— هل تعتقدين أن أخاك محمود يمكن أن يتزوج هو الآخر صديقته عائشة ؟ .

وقالت الابنة وكأنها تزغرد .

— ياريت ..

وقالت الأم كأنها تهم بالبكاء :

— تبقى مصيبة ..

* * *

قالت الابنة وقد عادت من الجامعة والقت حقيبتها فى عصبية .

— كنت اليوم سأضيع فى خناقة .. وقالت الأم بلا اهتمام كأنها تعودت على مفاجآت ابنتها .

— خير ..

وقالت الابنة وهى تتنهد فى ندم :

— حاولت أن أكون بطلة وحامية حمى الأخلاق فوقعت المصيبة على دماغى

وقالت الأم بلا إلحاح

— ماذا حدث ؟.

وقالت الابنة والغيظ ينطلق من عينيها

— لقد كنت واقفة أمام محطة الاتوبيس وكانت تقف بجانبى فتاة ترتدى ثوبا طويلا له أكمام كاملة رغم إننا فى عز الحر وتضع فوق رأسها وحول وجهها بشنيقة أو طرحة بيضاء تتدلى حتى كتفيها ونظرت إليها وأنا أبتسم ابتسامة اشفاق ، ويظهر أن نظرتى طالت فقد اقتربت منى الفتاة تسألنى . لماذا تنظرين إلى فقلت لها اننى أشفق عليها .

وقالت الأم فى قرف .

— مالك ومالها.. تشفقين عليها أو لا تشفقين . انك دائما تحشرين نفسك فيما لا دخل لك فيه ..

وقالت الابنة فى عصبية .

— لقد كنت أشفق عليها فعلا . انها بالزى الذى



ـبه والحجاب الذى تضعه على رأسها تبدو كأنها فتاة محافظة متطرفة فى تعاليم الدين وأوامر المشايخ ورغم ذلك فانها ستركب الاتوبيس وتقف ملتصقة بعشرات الرجال كل منهم يتعمد أن يلصق نفسه بها ويتحسس جسدها بجسده ويمر بأصابعه على أماكن حساسة منها .. وضاعت المحافظة وضاعت تعاليم الدين .. وقد قلت لها هذا الكلام .. فقالت ان الله لا يحاسبها على الاعتداء عليها فى الاتوبيس .

وقالت الأم بسرعة

— لها حق .

وصاحت الابنة محتجة

— كيف يكون لها حق .. انها عبيطة وحمارة . انها تلبس الثوب الطويل وتلف رأسها بالبشنيقة لتحمى نفسها من النظرات الجارحة وحتى لا تثير الفتنة بين الرجال . وبعد هذا تركب الاتوبيس وهى تعلم انها ستعرض نفسها للمسات والاحتكاكات الجارحة .. وتشعل نار الفتنة فى أجساد الرجال .. أى أنها تحمى نفسها من النظرات ولا تحمى نفسها من اللمسات والاحتكاكات الجسدية .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها مجنونة

— وماذا كنت تريدينها أن تفعل ؟

وقالت الابنة فى اصرار .

— مادامت تعتبر نفسها فتاة محافظة متدينة فكان يجب ألا تركب الاتوبيس .. انها تقول إن الله لا يحاسبها على الاعتداء عليها ، ولكن الله سيحاسبها لأنها تعرض نفسها للاعتداء عليها ..

وقالت الأم معترضة

— ولكنها فى حاجة إلى الاتوبيس لتصل به إلى الجامعة

وقالت الابنة ساخطة :

— تمتنع عن الذهاب إلى الجامعة وتبقى فى البيت لتحمى نفسها داخل جدرانه ، مادامت ترفض أن تكون ككل البنات وتلبس الثياب العادية لتتحرر وتستطيع أن تدافع عن نفسها داخل الاتوبيس ..

وقالت الأم ساخرة :

— وماذا حدث بينك وبينها ؟.

وقالت الابنة فى قرف

— لقد قلت لها كل هذا الكلام وردت على فى وقاحة إلى حد أن بدأ صوتها يعلو على صوتى ودخلنا فى خناقة والناس ملتفة حولنا تتفرج علينا .. إلى أن جاء الاتوبيس فتركتها تركب وحدها ورأيت الرجال يفسحون لها درجات السلم كأنهم الفك المفترس يهم بالتهامها . وقد دفعنى هذا الحادث إلى الدخول فى مشروع جديد .

وقالت الأم فى دهشة :

— أى مشروع .. هل ستكونين جيشا من النساء لحماية المرأة داخل الاتوبيس ..

وقالت الابنة وهى ساهمة تفكر

— لا .. ساشترى سيارة .

وقالت الأم ساخرة :

— ومن أين ستأتين بثمنها يا حبة عين أمك ...

وقالت الابنة فى حماس :

— سيارة شركة .. اسمعى يا ماما .. ان شركات كثيرة أصبحت تملك أتوبيسات خاصة لتوصيل موظفيها نظير ايجار شهرى بسيط.. فلماذا لا يشترى كل حى أتوبيسا خاصا يشترك فى ثمنه كل أهالى الحى ويدفع كل منهم مبلغا بسيطا كل شهر لصيانته .. وبذلك يحلون مشكلة المواصلات ويحمون بناتهم من اللمسات المحرمة



وقالت الأم ضاحكة سيتحطم أتوبيس الحى بعد أسبوع واحد ..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لماذا ؟

وقالت الأم ضاحكة :

— بسبب خناقات أصحابه أهالى الحى ..

وقالت الابنة جادة :

— لقد اتفقت مع خمس من صديقاتى فى الجامعة على أن نشترى سيارة مشتركة .. سيارة نصر صغيرة .. ونتعلم كلنا قيادة السيارة ونستغنى بها عن مرمطة الاتوبيسات ..

وقالت الأم فى يأس :

— ومن أين ستأتى كل منكن بنصيبها من الثمن ؟

وقالت الابنة فى حماس :

— سنقترض من بنك الطلبة بضمان أب كل منا .. وبابا يستطيع أن يخصم منى أجر المواصلات ويدفعه اخر السنة تسديدا للدين ..

وقالت الأم ساخرة :

— عليك أولا أن تسافرى إلى أمريكا وتبحث عن عمل هناك وتقبضى أجرك بالدولار . لأن السيارة فى مصر حتى السيارة النصر أصبحت تباع بالدولار إذا أردت أن تستلميها فورا أما إذا دفعت بالجنيه المصرى فعليك أن تنتظرى دورك .. وقد تنتظرين عامين وتكونين قد تخرجت فى الجامعة وتنفض الشركة بينك وبين زميلاتك

وقالت الابنة وهى تتنهد فى يأس :

— انك دائما يائسة وتصدين نفسى .. على كل حال هناك طريق أسهل ..

— وقالت الأم وهى تحملق فى عينى ابنتها

— أى طريق .. هل ستركبين بسكليت او موتوسكل

وقالت الابنة :
— لا .. سأبحث عن شاب يملك سيارة ..
وصرخت الأم
— اخرسى .. قطع لسانك .
قالت الابنة ورموشها تهتز فوق عينيها فى دهشة :
— هل سمعت حكاية مشيرة .. ؟
لقد فسخت خطبتها إلى عثمان بعد كل هذه الضجة التى ثارت حولهما ..
وقالت الأم وهى لا ترفع عينيها عن ابرة التريكو :
— لماذا فسخت الخطبة وهى غارقة فى دهشتها :
— لسبب لا يمكن أن يخطر ببالك ..
وقالت الأم فى برود .
— أى سبب ؟
وقالت الابنة الغارقة فى الدهشة
— حذرى ..
وقالت الأم وهى لاتزال تلعب بأصابعها بابرة التريكو :
— لا داعى لأن احذر .. أن هناك ألف سبب لفسخ الخطبة .. وفسخ الخطبة يعتبر حدثا عاديا وهو على الأقل أرحم من الطلاق ..
وقالت الابنة فى غيظ .
— ولكن مشيرة فسخت خطبتها لسبب عجيب.. عجيب .
ورفعت الأم رأسها عن التريكو وقالت
— أريحيتى وخبرينى..
وقالت الابنة وعيناها ساخطتان :
— تصورى أن مشيرة فسخت خطبتها لأن خاطبها عثمان رفض أن يوافق على خطبة أخته إلى أخيها ممدوح ..



وقالت الأم فى تعجب
— وما دخل خطبة أخيها بخطبتها ..
وقالت الابنة فى حماس
— لقد اعتبرتها مشيرة مسألة كرامة ..
وقالت الأم محتجة
— مادخل الكرامة فى مثل هذا الموضوع .. ربما كانت أخت عثمان لا تريد الزواج من أخى مشيرة
وقالت الابنة بسرعة :
— لا .. انك لاتعرفين القصة .. لقد جاء عثمان وأخته إلى مصر لقضاء أجازة طويلة واتصلا بعائلة مشيرة لتوصيل رسالة من عمها الذى يعمل مدرسا فى السودان .. ورحبت العائلة بعثمان وأخته ترحيبا كبيرا حتى أصبحا فى خلال أيام وكأنهما من عائلة واحدة .. ومع الايام جمع الحب بين مشيرة وعثمان واذيع خبر هذا الحب بين كل أفراد العائلة وبين صديقات مشيرة . ولكن أحدا لم يعلم أن الحب ربط أيضا بين ممدوح وسعدية أخت عثمان . ولم ينقض شهران حتى تقدم عثمان لخطبة مشيرة ووافقت العائلة وأعلنت الخطبة . وتقررأن يسافر عثمان هو واخته إلى السودان لتعود العائلة لاتمام مراسم الزواج . وقبل أن يسافر تقدم إليه ممدوح ليخطب أخته سعدية . فإذا به يعتذر اعتذارا حاسما وكانه يرفض .. بل إن مشيرة تقول انه غضب لمجرد أن ممدوح تقدم لخطبة أخته
وقالت الأم فى هدوء
— ولماذا رفض خطبة أخته ؟ .
وقالت الابنة ساخرة
— قال : انها موعودة لابن عمها
وقالت الأم وكأنها تدافع عن عثمان
— عذر مقبول

وصاحت الابنة

— انه عذر كاذب . وقد قالت سعدية لمشيرة انها ليست مخطوبة ولا موعودة .. وان كل ما هنالك ان أخاها لا يريد أن تتزوج أخته من رجل غريب.. غريب عن السودان. ليس سودانيا. وقد تأكدت مشيرة من ذلك بعد أن ناقشت خاطبها عثمان طويلا. تأكدت أن الرجال في السودان يمنحون انفسهم حق الزواج من فتيات أى بلد.. مصرية. أو لبنانية . أو انجليزية. ولكنهم يحرمون على بناتهم الزواج من أى بلد آخر غير السودان..

وقالت الأم في دهشة

— عجيبة .. انى أعرف أن كثيرا من المصريين الذين عاشوا في السودان تزوجوا من السودانيات.. وسمعت انهم كانوا في الغالب يتزوجون من بنات قبيلة الدنكا.. ان بنات الدنكا أجمل بنات السودان..

وقالت الابنة ساخرة :

— كان هذا زمان . عندما كان المجتمع المصرى يعيش في المجتمع السوداني.. ولكن الآن انعزل المجتمع السوداني عن مصر. كل المجتمعات المنعزلة تحرص على ألا تتزوج بناتها من مجتمعات غريبة.. في الكويت.. والسعودية.. ودول الخليج.. حتى في ليبيا.. لا يسمح بزواج البنات من غريب في حين أن من حق الرجل أن يتزوج من أى بلد.. إن العزلة تولد التخلف والتخلف يعتبر الزواج مجرد متعة يحرم على الغريب أن يتمتع بها .

وقالت الأم المندهشة

— ولكنى أعرف ان عثمان شاب متعلم تعليما عاليا..

وقالت الابنة ساخطة

— انه متعلم ولكنه نشأ وعاش في مجتمع منعزل. لقد حكت لى مشيرة عن تصرفات عجيبة



[illegible] انه حدث ذات ليلة ان كانت العائلة تقضى المساء في البيت [illegible] عثمان وأخته سعدية. لم يكن بينهم أحد غريب.. فقط الاخوة [illegible] والعم وأولاد العم..

[illegible]وا يتضاحكون ويستمعون إلى الموسيقى.. وقامت مشيرة [illegible] رقص بلدى.. ورقصت ابنة عمها أيضا.. كل بنات العائلة [illegible] ثم التففن كلهن حول سعدية وطلبن منها أن ترقص الرقصة [illegible] رقصة الحمامة. وقامت سعدية ورقصت. هل تعلمين ماذا حدث؟ لقد عاد بها أخوها إلى الفندق ضربها علقة وحرمها من الخروج معه ثلاثة أيام إلى أن استطاعت مشيرة أن تخفف من غضبه عليها. ممنوع على بنات السودان أن يرقصن أمام الغرباء. حتى لو كانت رقصة الحمامة.. وهى رقصة مهذبة بطيئة..

وقالت الأم كأنها لا تستطيع أن تفهم .

— ولكن لماذا فسخت خطبتها إلى عثمان؟

وقالت الابنة في حدة

— لقد قالت له ان كلا منهما نشأ وعاش في مجتمع يختلف عن الآخر.. وانه لهذا لا يمكن أن يستمر التفاهم بينهما.. وإذا لم يستمر التفاهم فلن يستمر الحب . وإذا لم يستمر الحب فلن يستمر الزواج ولها حق..

وقالت الأم في جزع

— وهل اقتنع عثمان بهذا الكلام ؟

وقالت الابنة في شماتة :

— لقد تحايل كثيرا على مشيرة ليتم زواجه بها .. ولكنه ظل مصرا على عدم زواج أخته بأخيها.. فأصرت مشيرة على فسخ الخطبة.. وسافر عثمان وأخته على غير عودة..

وقالت الأم وهى تبتسم كأنها تحاول أن تخفف من حدة ابنتها

يهاجر من مجتمع إلى مجتمع .. وكان يجب على سهير أن تتحمل طبيعة المجتمع الأمريكى . هل كانت سهير تعمل هناك أى عمل خارج البيت .. ان المجتمع الامريكى يفرض على المرأة أن تعمل حتى لو كانت زوجة

وقالت الام وكانها مندهشة من سخط ابنتها

— لا .. انها لم تكن تعمل .. كانت زوجة وأما متفرغة للبيت .

صاحت الابنة كأنها تشتم سهير :

— لماذا لم تعمل رغم انها متعلمة وخريجة جامعة .لو كانت تعمل لما احست بالوحدة ولاقتنعت بأن تأخذ الدولارات اجرا لرعاية أبناء جارتها

وقالت الأم وكانها تتحدى ابنتها .

— لم تكن تستطيع أن تعمل .. كانت متفرغة لأولادها ..

وعادت الابنة تصيح كانها تصيح فى وجه سهير :

— لماذا لم تضع الاولاد فى دار من دور الحضانة إن هناك دورا راقية . وتقبل رعاية الاطفال وعمرهم سنة أو حتى ستة اشهر ومن الساعة السابعة صباحا حتى السابعة مساء وكل مشرفة من مشرفات دور الحضانة تشرف على ثمانية أطفال فقط لا اكثر حتى تستطيع أن تركز عليهم اهتمامها .

وصاحت الأم دفاعا عن ابنتها

— انك انسانة بلا عاطفة . ليست كل أم تستطيع أن تترك أولادها فى دور الحضانة . ثم أن دور الحضانة فى أمريكا تربى الأطفال تربية عجيبة .. أنهم ينزعون منهم شخصيتهم الأصلية . أى الشخصية المصرية .. والتقاليد والعادات المصرية .. واللغة التى يجب أن يحتفظوا بها .. لغتنا .. اللغة العربية .. واكثر من ذلك .. انهم يتجاهلون الدين فيكبر الاولاد وهم ليسوا مسلمين ولا مسيحيين .. أغلبية دور الحضانة فى أمريكا أصبحت دورا ملحدة لا تعترف بأى دين ولا حتى بوجود الله ..



وقالت الابنة ساخرة :

— وهل يتكلم أولاد سهير بالعربى ؟

وقالت الأم وهى تتنهد فى حسرة :

— هذا ما تشكو منه سهير أيضا .. ان كل أبناء العرب فى أمريكا لا يتحدثون العربية إلا فى كلمات متقطعة كالخواجات . وحتى اولادها وهم فى سن الطفولة أصبحت تغلب عليهم اللغة الانجليزية واللهجة الأمريكية وهناك ما هو أهم مما يشغل بال سهير . عندما تكبر ابنتاها كيف يتزوجان .. أنها لا تريد لهما أن يتزوجا من شبان امريكان .. ولا تريد لابنها أن يتزوج أمريكية لذلك يجب أن تعود وتقيم فى مصر حتى يتكلم اولادها بالعربى ويتزوجوا من مصر ومن دينهم ..

وقالت الابنة وهى تمصق كلماتها فى قرف :

— ان المصريين الذين يهاجرون لا يعلمون أنهم يبقون فى الهجرة محتفظين بشخصيتهم المصرية فى حين ان أولادهم يكتسبون شخصية أخرى شخصية المجتمع الذى ولدوا ونشأوا فيه .. لغة أخرى وعقلية أخرى وطباعا أخرى . ان سهير ستبقى دائما مصرية تعيش فى امريكا . ولكن أولادها أمريكان لماذا يتكلمون العربية .. ولماذا لا يتزوجون أمريكان مثلهم ؟،

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة :

— هل تفكرين فى الهجرة ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كانها تشفق عليها من جهلها :

— ان الذى يهاجر انما يسعى إلى هدف .. هدف فى النجاح وفى الغنى وفى حياة أفضل ويجب أن يتحمل متاعب الهجرة فى سبيل تحقيق هذا الهدف ويتحمل أن أولاده سينشأون غرباء عنه وعندما يتمكن منى الهدف فاسمحى لى أن أهاجر .

وقالت الأم مذعورة كأن ابنتها قررت الهجرة.

— وهل يفكر صديقك عصام فى الهجرة هو أيضا؟.

وقالت الابنة وهى تجرى

— لا تحدثيني عن عصام  لا أريد أن أسمع سيرته.

وتركت أمها فى حيرة.

* * *

● قالت الأم فى غضب وهى تلوح بيديها كأنها تولول على فقيد عزيز

— ألم تسمعى بما فعله جارنا عبدالسلام؟

وقالت الابنة فى جزع:

— ماذا فعل؟

صرخت الأم :

— تزوج .

ورفعت الابنة حاجبيها دهشة ثم قالت وهى تخفى ابتسامتها

— هذا من حقه..

وعادت الأم تصرخ

— كيف يكون هذا من حقه . هل تعرفين كم عمره  انه فى الخامسة والسبعين.. وكلها يومين والله يرحمه..

وقالت الابنة وهى لاتزال محتفظة بابتسامتها .

— هل هو مريض ..

وقالت الأم وعيناها تنطقان بالغيظ

— لا .. انه مثل الحصان..

وقالت الابنة فى بساطة كأن الموضوع ليس مهما:

— اذن من حقه أن يتزوج..

وقالت الأم كأنها تبصق كلماتها

— كيف يتزوج ولم يمض على وفاة زوجته وأم أولاده عام واحد.. بعد أن عاشت فى خدمته أكثر من أربعين عاما.. لقد كانت ست الزوجات.. كانت ملاكا



كانت تساوى رقبته  ولكن هكذا الرجال  لا وفاء.. ولا خجل .
مهم ان يجد الرجل امرأة.. أى امرأة

وقالت الابنة فى هدوء

— ياماما ان الرجل الذى عاش عمره بين زوجته وأولاده. لا يستطيع أن يجد نفسه فجأة وهو يعيش فى البيت وحده  وقد تزوج أولاد عبدالسلام الثلاثة وتزوجت ابنتاه ثم ماتت زوجته ووجد نفسه فى وحدة  ليست معه كلمة تؤنسه . ولا شريك يعينه على استكمال الحياة  وكان عليه أن يهرب من هذه الوحدة.  ان يحمى نفسه من الوحدة.  وعبدالسلام رجل عاقل ونبيه لأنه تزوج

وقالت الأم محتدة

— لماذا لا يدعو إحدى بنتيه لتعيش معه هى وزوجها وأولادها.. او يدعو أحد أولاده ليعيش معه هو وعائلته.. ان الشقة التى يعيش فيها أوسع وأرقى من كل الشقق التى يعيش فيها أولاده وبنتاه  ولن يرفض أحدهم أن ينتقل ليعيش معه . أو لماذا لا يؤجر شقته مفروشة وينتقل هو ليعيش مع أحد أبنائه.. ويستفيد من قيمة الايجار وفى الوقت نفسه يصون ويحترم ذكرى زوجته رحمها الله .

وقالت الابنة فى زهق من عقلية أمها.

— يا أمى ان الرجل الذى عاش معتمدا على نفسه، مستقلا ببيته لا يستطيع أن يعيش عالة على أحد حتى لو كان ابنه أو ابنته.. وهناك دائما شخص ثالث يعتبر غريبا عن هذا الرجل.. وهو زوج الابنة أو زوجة الابن.. فكيف يفرض نفسه على غريب .. ويعيش .. ومن الأفضل له ان يظل محتفظا باستقلاله حتى لو تزوج وهو فى الخامسة والسبعين من عمره  ان شارلى شابلن تزوج وهو فى السبعين  وام جاكلين كيندى تزوجت رجلا فى الستين من عمره وهى فى الخامسة والخمسين كم عمر هذه التى تزوجها الأستاذ عبدالسلام ؟

وقالت الأم ساخرة

إنها تقول إنها فى الخمسين رغم ان كل الناس يقولون انها تعدت الستين.. وقد توفى زوجها منذ خمسة أعوام ولها بنت وولد تزوجا.

وقالت الأم فى قرف:

— لا أدرى ماذا يفعل رجل فى الخامسة والسبعين بامرأة فى الستين.. ماذا يريد منها.. ماذا يمكن ان يجمع بينهما وقد شاخا وأصابهما العجز عن أى شىء..

وقالت الابنة ساخرة:

— تقصدين العجز الجنسى.. يا أمى أن كل عمر له مطالبه.. ومطالب العجوز تختلف عن مطالب الشباب أو الرجل الأصغر.. وقطعا أن عبدالسلام لم يتزوج لتحقيق شهوة المتعة ولا هى تزوجته لهذه المتعة.. وقطعا لم يتزوجا على أمل إنجاب أولاد.. تزوجا ليؤنس كل منهما الآخر.. ليغطى كل منهما وحدة الآخر.. الكلمة الحلوة.. والابتسامة الحلوة.. واللمسة الحلوة.. وتبادل خدمات الحياة.. تزوجا حتى لا يضطر كل منهما أن يبحث عن بيت من البيوت التى تؤوى العواجيز والتى انتشرت أخيرا.. ويعيش فى انتظار الموت وكأنه يعيش فى ملجأ يتامى.. يتامى المجتمع الإنسانى.

وصرخت الأم

— انك تتفلسفين وتنسين أن عبدالسلام بهذا الزواج يعتدى على حقوق أولاده.

وقالت الابنة فى قرف

تقصدين حقوق الوراثة

وقاطعتها الأم صارخة

— طبعا حقوق الوراثة.. إنه إذا مات فستصبح الشقة التى يسكنها من حق زوجته وسيكون من حقها واحد على ثمانية من الأملاك.. ومن يدرى ربما أقنعته بأن يبيع أملاكه قبل أن يموت لتستولى على ثمنها كله.. ويخرج أبناؤه بلا مليم واحد



وقالت الابنة كأنها تفكر فى حل

— ماذا فعل أولاده بعد أن تزوج

وقالت الأم وكأنها شامتة فى عبدالسلام

— لقد قاطعوه ورفضوا الموافقة على هذا الزواج وزوج ابنته ... يفكر فى رفع قضية لوضعه تحت الوصاية باعتبار أنه وصل إلى سن التخريف

وصاحت الابنة فى غضب

— انهم مجرمون. الأولاد الذين يفكرون فى إرث أبيهم وهو حى هم مجرمون سفلة.. لا يستطيعون الاعتماد على انفسهم فى بناء مستقبلهم.. أن كل ما يملكه الأب من حقه وحده مادام حيا.. ومن حقه أن يترك لأولاده كل شىء ومن حقه ألا يترك لهم شيئا مادام قد أنفق عليهم إلى أن وصل بهم إلى الحياة المستقلة.

وقالت الأم ساخطة

— ماذا كنت تريدين منهم أن يفعلوا.

وقالت الابنة وكلماتها تجرى فى حدة

— أن يتركوا أباهم حرا.. وينتظروا.. فإذا كان سعيدا بهذا الزواج فرحوا. وإذا كان تعيسا واستغاث بهم تدخلوا لانقاذه.. وهو نفس ما حدث عندما تزوج ابن عبدالسلام الأصغر.. لقد عارض عبدالسلام فى هذا الزواج لأن الزوجة كانت ممثلة سينما. وقاطع ابنه ولكنه تركه حرا وبعد بضعة أشهر وجد ابنه سعيدا وبيته محترما فصالحه وبارك هذا الزواج وأصبحت أسعد أوقاته هى التى يقضيها فى بيت ابنه الأصغر وزوجته وأولاده.

ونظرت الأم إلى ابنتها طويلا وقالت وعيناها ضائعتان فى حيرة

— اسمعى يا ابنتى.. افرضى أنى مت هل تتركين أباك يتزوج بعدى.

وقالت الابنة فى جزع

— بعيد الشر عنك يا ماما.. لا تقولى هذا الكلام

وعادت الأم تقول فى إصرار

— افرضى .. مجرد فرض

وسكتت الابنة برهة ثم قالت

— سأتركه حرا . يفعل ما يريد .

وضاقت الأم كأنها تلقت صدمة ثم قالت وهى تضغط على أعصابها

— وافرضى العكس.. أى أن أباك توفاه الله.. هل أتزوج أنا من غيره .

ونظرت إليها الابنة كأنها تلومها ثم انحدفت على صدرها تقبلها قائلة

— لا تقولى هذا الكلام يا ماما.. أنت وبابا لكما عمرى

وابتسمت الأم..

ان ابنتها لم ترد على سؤالها..

انها لا تحتمل ان تكون أمها لرجل آخر حتى لو مات أبوها.. انها انانية الأبناء..

* * *

كانت الابنة تجلس ساهمة وقالت الأم وهى تبتسم لها ابتسامة حلوة

— ماذا بك.. منذ يومين وأنت ساهمة.. تائهة.. ملخبطة..

وسكتت الابنة برهة ثم قالت وهى تتنهد

— هل تذكرين . لقد كنا منذ ايام نتحدث عن جارنا عبدالسلام الذى تزوج بعد أن تجاوز السبعين من عمره

وقالت الأم من خلال ابتسامتها

— أذكر .. وقد كنت تؤيدين حقه فى الزواج.

وقالت الابنة وعيناها تائهتان فى حيرتها

— لقد تمكنت الفكرة من خيالى واقتنعت بأن تزوج انا ايضا بمن تعدى السبعين



وصاحت الأم فى دهشة.

— لماذا .. ماذا جرى لك حتى تفكرى فى الزواج ممن تعدى السبعين..

وقالت الابنة وهى ساهمة:

— لأنه فى حاجة إلى الزواج .

وعادت الأم تصيح من خلال دهشتها:

— من هو؟

وقالت الابنة فى صوت حالم

— توفيق الحكيم..

وصرخت الأم وهى تضرب على صدرها بكفها:

— يا نهارك أبيض .. توفيق الحكيم الكاتب.. ماذا أوصلك اليه..

وقالت الابنة الحالمة.

— لقد عشت معه فى كل قصصه التى كتبها.. منذ بدأت اقرأ وأنا اعيش معه . وقد سمعت أخيرا انه يعانى الوحدة.. وأخاف أن تحرمنى وحدته من أن يكتب مزيدا من القصص.

وقالت الأم بسرعة

ان الكاتب الفنان يعيش وحدته حتى وهو بين الناس.. انه فى حاجة الى الوحدة ليتفرغ لأفكاره ولخياله حتى يرسم القصص التى يكتبها.. وتوفيق الحكيم كاتب وفنان..

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى:

— ان الكاتب والفنان وهو أولا بنى آدم كبقية البنى آدميين.. وأنت لا تعرفين كيف كان يعيش توفيق الحكيم.. لقد تزوج وعاش مع زوجته أكثر من ثلاثين عاما.. وأنجب بنتا وولدا.. ثم توفيت زوجته إلى رحمة الله منذ عامين.. وابنته كانت تزوجت وأقامت فى الاسكندرية.. فعاش مع ابنه وزوجته.. لكن القدر اختطف ابنه.. كأنه يقتطع

قطعة من قلبه.. وتحمل صابرا.. وعاش مع زوجة ابنه.. عاش معها كابنته.. وكانت تحبه وتعطيه من حنانها وتشده فى رفق إلى عالم النسيان حتى يستطيع أن يعيش أفكاره وخواطره ويكتب ولكن توفيق الحكيم لا يستطيع أن يتحمل حرمان ابنته من استكمال شخصيتها فشجعها على الزواج . وتزوجت فى لندن.. وأصبح وحيداً.. كله وحدة.. والبيت صامت.. كل قطعة فيه تبكى الذكريات.. كيف اترك توفيق الحكيم هكذا وأطلب منه أن يكتب لى لأقرأ له

وقالت الأم والأسى يقطر على وجهها.

— ان توفيق الحكيم كتب أعظم قصصه وأقام مجده وهو وحيد.. قبل أن يتزوج..

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى:

— كان شبابه يؤنسه فى وحدته..

وقالت الأم وهى تربت على كتف ابنتها وتهدئها .

— يا ابنتى أنت تعرفين أنى أهوى قراءة القصص وقد قرأت توفيق الحكيم قبل أن تقرئيه . وأعرف من بين ما قرأته أن الآلام تلهم الفنان .. أن قلم الفنان ينزف أحيانا كالدموع.. فلا تخافى على توفيق الحكيم . سيكتب لك وتقرئين له.. ربما كتب أعظم مما كتب حتى الآن.

وقالت الابنة فى عصبية :

— لا يا ماما أنت لا تقدرين ماذا فقد توفيق الحكيم؟. لقد فقد صوت الحياة فى بيته.. فقد الجمال الذى يملأ عينيه.. فقد الكلمة الحلوة التى تعزف فى أذنيه فقد اللقمة الشهية التى يقدمها الحب إلى فمه وسأعوضه عن كل ذلك .

وقالت الأم وقد بدأت تقلب شفتيها فى غيظ ورفض

— كيف.. هل تذهبين إليه وتطلبينه للزواج .

وقالت الابنة وكأنها ترسم خطة

— لا.. سأذهب إليه كقارئة معجبة.. ثم اكتشف ما يحتاج اليه وما استطيع ان أقدمه اليه.



وقالت الأم كأنها انبهرت بفكرة

— انه لو أحس بك فان احساسه سيكون كأنك ابنته وتعوضينه عن ابنته التى تقيم بعيدا عنه..

وقالت الابنة وكأنها ترفض فكرة أمها :

— انه لن يحس بى كابنته.. بالعكس أنا التى سأحس به كأم.. ان رجال بعد سن معينة ينقلبون إلى أطفال . وأعتقد أن توفيق الحكيم اصبح طفلا عجوزا ..

وقالت الأم وهى حائرة مع ابنتها :

— قد يقبلك كصديقة ..

وقالت الابنة فى اصرار :

— ان الصداقة لن تكفى حاجته ولن تعيد اليه حرارة فنه..

وصرخت الأم :

— ماذا تتصورين أن يطلب منك توفيق الحكيم ؟

وقالت الابنة وعيناها تبرقان بالأمل :

— الزواج.. انه فى حاجة إلى زوجة .

وعادت الأم تصرخ .

— كيف تتزوجان وهو فى الثمانين وأنت فى العشرين.. ان جارتنا عبدالسلام وهو فى السبعين تزوج من امرأة فى الخمسين..

وقالت الابنة فى هدوء .

— ان عبدالسلام ليس فنانا. ولكن شارلى شابلن كان قد تعدى السبعين عندما تزوج فتاة فى الثالثة والعشرين.. وبيكاسو كان قد تعدى الثمانين عندما تزوج فتاة فى الثالثة والعشرين

وقالت الأم فى جزع

ماذا تأخذين من هذا الزواج

وقالت الابنة وهى ترفع راسها فى تفاخر

— يكفى أن أكون زوجة توفيق الحكيم

وقالت الأم فى قرف

— انك تطمعين فى الشهرة وتوفيق الحكيم لن يستسلم لاطماعك.. انه عاقل حريص على مكانته الفنية.. هذا ما أعرفه عنه ..

وقالت الابنة وكأنها تتحدى القدر :

— دعينى أجرب.. ودعى توفيق الحكيم يقرر..

وقالت الأم فى حدة :

— وماذا تفعلين مع صديقك عصام؟

وقالت الابنة فى حدة :

قلت لك لا تذكرينى به.. أريد أن أنسى اليوم الذى عرفته فيه..

وقالت الأم وحيرتها تشتد بها .

— لماذا.. انك لم تقولى لى عما حدث بينكما ؟.

وجرت الابنة خارج الغرفة قائلة كأنها تهرب من دموعها

— ليس هذا وقته

ورفعت الأم رأسها إلى الله وقالت كأنها تخاطبه .

— يارب.. هل رزقتنى بابنة مجنونة .

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة

— يا ابنتى اننى كلما سألتك عن عصام غضبت وهربت من الكلام ماذا حدث بينكما؟

وقالت الابنة وهى تدير عينيها بعيدا كأنها لا تريد مواجهة أمها .

— يا ماما.. أرجوك.. دعينا من الكلام عن عصام

وقالت الأم كأنها تشفق على ابنتها

— ان عصام صديقك وقد اعترفت لى بانك تحبينه.. ومن حقى أن أعرف مصير حبك وأن أطمئن

وقالت الابنة وهى تهم بالابتعاد.

هذا موضوع خاص بى

ورفعت الأم صوتها وقالت فى حدة .

— اجلسى وتكلمى.. ان كل ما هو خاص بك يعتبر خاصا بى.. تكلمى .



وتنهدت الابنة كأنها تهم بالبكاء

— ماذا تريديننى أن أقول ؟

وقالت الأم فى لهفة :

— قولى كل شىء.. احكى الحكاية بكل تفاصيلها..

وقالت الابنة وهى تبتسم فى مرارة:

— انها حكاية قديمة حكاية بدأت منذ بدأت الحكايات بين البنات والأولاد .

وقالت الأم وهى أشد لهفة

— اية حكاية ؟. تكلمى بصراحة..

وقالت الابنة فى غيظ .

— لقد عرفت انه على علاقة بفتاة أخرى.. امرأة..

وقالت الأم فى دهشة :

كيف عرفت ؟

قالت الابنة وكأنها تبصق كلماتها فى قرف

— سمعت زملاءه فى الكلية يتحدثون عن امرأة اسمها زبيدة وان عصام على علاقة بها.. ورأوه معها.

وقالت الأم من خلال دهشتها

—هل تأكدت من هذا الكلام..

وقالت الابنة وكأنها لم تسمع سؤال أمها.

— لقد كانوا يقولون عنها إنها أكبر منه ولكنها جميلة وبلوند. شعرها أصفر.

وعادت الأم تقول من خلال لهفتها :

— انى أسألك هل تأكدت من هذا الكلام.. ربما كانوا يكذبون ويدعون عليه أو يرددو.. اشاعات كاذبة .

وقالت الابنة كأنها تستعيد ذكرياتها

—لقد سألت عصام .

وقالت الأم فى فرحة كأن المشكلة قد حلت :

— ماذا قال لك.. هل كذب ما يقال ؟

وقالت الابنة فى مرارة

— لا.. لقد اعترف بأنه يعرف زبيدة فعلا.. ولكنه لا يحبها.. ولا يربط نفسه بها.. ولا يراها إلا فى فترات متباعدة كل شهر.. وأحيانا كل شهرين.

وقالت الأم فى حيرة

ولماذا يعرفها.. هل هى قريبته أو صديقة العائلة ؟

وقالت الابنة ساخرة

— لا.. انه يعرفها لأنها تعطيه ما لا أعطيه أنا له وما لا يطلبه منى .

وقالت الأم كأنها تصرخ :

— ماذا تعطيه ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى امها كأنها تتهمها بالجهل :

— تعطيه جسدها طبعا.. وهدأت الأم وقالت بعد برهة وهى تبتسم كأنها تخفف عن ابنتها

— ليس فى هذا أمر غريب.. هذه طبيعة كل الرجال لا يحاسب عن علاقاته إلا بعد الزواج.. أما قبل الزواج فهو حر.

وصرخت الابنة صرخة عالية

— هذا كلام فاضى .. كلام الجوارى .. كلام زمان .. الرجل ليس له حق على نفسه أكثر من حق المرأة على نفسها .

وقالت الأم وهى تحاول أن تكون هادئة لتسكت من صراخ ابنتها

— يا ابنتى ان طبيعة الرجل تختلف عن طبيعة المرأة .. وهو لايستطيع أن يكبت طبيعته . وهو لايمارس هذه الطبيعة معك منتظرا يوم الزواج لأنه يحبك ويحترمك ويصون عرضك .. ولكنه يبحث عن اخرى لا يحبها ولا يحترمها ولا يصونها .. إلى



يجمعكما الزواج ويصبح وليس فى دنياه الا أنت

وعادت الابنة تصرخ صرخات أعلى .

— يا أمى لا تجننينى بهذا الكلام . ان طبيعة الرجل لا تختلف عن طبيعة المرأة .. وكل منهما يستطيع الانتظار ويستطيع كبت طبيعته الى أن يلتقى بالنصف الآخر الذى سيهبه نفسه العمر كله . انظرى إلى ابن عمى سمير .. ان أول امرأة لمسها فى حياته كانت زوجته .. رغم أنه تزوج فى الخامسة والعشرين من عمره .. ذلك لأنه شاب نظيف مؤمن بالمبادىء والأخلاق ولا يمكن أن يمارس طبيعته فى الحرام .. لا يمكن أن ينزل بنفسه إلى مستوى العلاقات القذرة.. ماذا كنت تفعلين لو كنت عرفت أن بابا يمارس طبيعته مع نساء رخيصات قبل أن يتزوجك ؟!..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى اشفاق .

— أنا لم أحاول أبدا أن أعرف .. ولو عرفت لما همنى فى شىء مما كان يفعله أبوك قبل الزواج .. انى أؤمن بالمثل الذى يقول أن الرجل يتمنى ان يكون أول رجل فى حياة المرأة . وأن المرأة تتمنى أن تكون آخر امرأة فى حياة الرجل .. وقد كان أبوك أول رجل فى حياتى وأنا واثقة انى آخر امرأة فى حياته ..

وضحكت الابنة ساخرة وقالت :

— انك تذكريننى بما يقوله بعض بنات هذه الأيام .. إنهن يقلن .. لا تعطى نفسك للرجل الذى تريدين أن تصلى معه إلى الزواج ، أما الرجل الذى لا تريدين أن تتزوجيه فهو مباح .. أى أن الرجل لا يتزوج الفتاة التى سبق أن استسلمت له قبل الزواج ، ولكنه قد يتزوج الفتاة حتى لو كانت قد استسلمت لغيره .. فكما أن عصام اعطى نفسه لامرأة أخرى إلى أن يتزوجنى .. فمن حقى أن أعطى نفسى أنا الأخرى لرجل آخر إلى أن تزوجه .. ان الرجال مغفلون ..

وصاحت الأم :

— اخرسي قطع لسانك .. هذا كلام متحلات ..

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى :

— ان عصام هو الذى دفعنى إلى هذا الكلام :

وقالت الأم فى رجاء :

— يا ابنتى .. كونى مثلى .. واحتملى عصام ..

وقالت الابنة من خلال دموعها :

— يا ماما انى أعيش أيامى لا أيامك .. ولا أستطيع أن أحتمل ما احتملته.

* * *

قالت الابنة فى ابتسامة مرحة :

— ما رأيك يا ماما .. تعالى نحتفل بليلة رأس السنة ..

وضحكت الأم قائلة :

— يا ابنتى أنت تعلمين انى لم أتعود الاحتفال بأية ليال .. فلماذا أحتفل بليلة رأس السنة ..

وقالت الابنة المرحة :

— ان العالم كله يحتفل بها ..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها بلا مبالاة .

— العالم الاجنبى هو الذى يحتفل بهذه الليلة .. ليس عالمنا ..

وقالت الابنة فى اصرار :

— انه احتفال بتاريخ بداية العام الجديد .. ونحن نعيش هذا التاريخ .. ان التاريخ الذى نعيشه فعلا هو التاريخ الميلادى .. هو التاريخ الرسمى للدولة .. ، وهو التاريخ الذى تقوم عليه كل معاملاتنا .. فلماذا لا نحتفل به ؟

وقالت الأم وكأنها تستغفر الله :

— ان التاريخ الذى يعبر عنا ويرتبط بشخصيتنا هو التاريخ الهجرى ..



وقالت الابنة ساخرة

— ابدا . حتى عيد ميلادك تحددينه بالتاريخ الميلادى . ٢٠ اكتوبر . ما هو عيد ميلادك بالتاريخ الهجرى .. لا أنا أعرف ولا أنت تعرفين . اننا نولد ونعيش إلى أن نموت بالتاريخ الميلادى .

وقالت الأم فى قرف :

— هذه ليست غلطتنا ولكنها غلطة الحكومة التى فرض عليها التاريخ الميلادى منذ أيام الاحتلال الاجنبى . وظلت مستسلمة لهذا التاريخ بعد أن انتهى الاحتلال وإلى اليوم .. انهم فى السعودية يعيشون التاريخ الهجرى .

وقالت الابنة فى لهجتها الساخرة :

— انهم هناك يعيشون التاريخ الهجرى ولكنهم يتعاملون بالتاريخ الميلادى .. وكل الدول الاسلامية الأخرى تعيش وتتعامل بالتاريخ الميلادى ولا تحس بالتاريخ الهجرى إلا فى مناسبة شهر رمضان وأيام الحج والأعياد ..

وقالت الأم فى عصبية :

— يا ابنتى أنت مسلمة .. والتاريخ الذى تعيشينه هو تاريخ الاسلام .. التاريخ الهجرى ..

وصرخت الابنة

— اذن لماذا لا نحتفل بليلة رأس السنة الهجرية كما يحتفل العالم بليلة رأس السنة الميلادية .. احتفال شعبى . مرح . صاخب .. لماذا لا تجمعنا المناسبة فى حفلات ساهرة ونلبس أزياء العيد .. والموسيقى تعزف لنا .. ونضحك .. ونرقص .. لماذا نقضى ليلة رأس السنة الهجرية فى وجوم رسمى .. ونستمع إلى القرآن الكريم كأننا فى مأتم .. ثم ننتظر عشرة أيام حتى يحل يوم عاشوراء ونأكل طبق العاشوراء . ان كل مظاهر أعيادنا قائمة على الأكل وعلى ملء بطوننا .. العيد الصغير نأكل الكحك .. والعيد الكبير نأكل الخروف ..

وعيد المولد النبوى نأكل الحلوى .. وعيد رأس السنة الهجرية نأكل المهلبية والملوخية .. طبق أبيض وطبق أخضر .. كل أعيادنا هى احتفالات نقدمها لبطوننا .. وقد مرت فترة كان الاحتفال بالمولد النبوى هو احتفال شعبى مرح ضاحك .. كانت الفرق التمثيلية والسيرك والمطربون والمطربات والحواة يتجمعون فى ساحة المولد ويعيش الناس معهم فى ليلة تريح النفس، ولكنهم منذ سنوات الغوا هذه الاحتفالات واقتصر يوم مولد النبى على بيع السمسمية والحمصية وعرائس المولد .. أريد أن نعيش أعيادنا .. أن نفرح بها .. حتى لا نعيش أعياد الأجانب ..

وقالت الأم فى هدوء دون أن تتأثر بصراخ ابنتها .

— هناك فارق ..

وصرخت الابنة

— فارق فى ماذا ؟

وقالت الأم مبتسمة

— فارق بين الاحتفال برأس السنة الهجرية ورأس السنة الميلادية ..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها متهكمة :

— ما هو الفارق يا ست العارفين ..

وقالت الأم بهدوئها :

— ان رأس السنة الهجرية هى مناسبة دينية ويجب أن يكون الاحتفال بها دينيا .. أما رأس السنة الميلادية فهى مناسبة حسابية قائمة على انتهاء العام من الناحية التاريخية والناس احرار فى الاحتفال بهذه المناسبة .. ان احتفال رأس السنة الهجرية يوازى الاحتفال بالكريسماس أو عيد الميلاد عند الأجانب .. وهم يحتفلون بالكريسماس احتفالا دينيا ويقضون الليل فى الكنائس يرتلون الصلوات

وقالت الابنة فى تحد



انهم بعد ان يخرجوا من الكنيسة ينطلقون إلى المرح .

وقالت الأم فى استسلام

— من حقك أيضا أن تمرحى ..

وصاحت الابنة فى اصرار :

— سأمرح وأسهر فى ليلة رأس السنة.

وقالت الأم ساخرة .

— وترقصين ؟

وقالت الابنة فى غيظ .

— الرقص ليس عيبا .. لقد أصبح معترف به رسميا .

وقالت الأم وهى لا تزال ساخرة

— بلدى أم أفرنجى ؟

وقالت الابنة بلا مبالاة .

— كلهرقص

وقالت الأم وقد بدأت تبدو جادة

— ان التقاليد تقضى فى ليلة رأس السنة ان يتبادل الناس القبلات عندما تدق الساعة الثانية عشرة .. فمن سيقبلك وتقبلينه ساعتها ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى عتاب .

— لم يخطر على بالى من اقبله أو من يقبلنى.. انها دائما قبلة بنة .. واستطيع أن أهرب من أى قبلة .

وقالت الأم وهى تبتسم فى مرارة

— ان كثيرا من قصص المآسى تبدأ بقبلة السنة الجديدة . هكذا سمعت.. وعلى كل حال ممنوع

وقالت الابنة فى عصبية

— ما هو الممنوع ؟

وقالت الأم فى حسم

— ممنوع أن تسهرى خارج البيت فى ليلة رأس السنة.. العائلة كلها ستبقى فى البيت .. ومنعت نفسى

تسهر وحدها خارج البيت الى ما بعد الساعة التاسعة مساء سواء فى ليلة رأس السنة أو فى أى ليلة تعتبر بنتا ضائعة.. سائبة .. منحلة

وقالت الابنة وهى تجرى من أمام أمها

— آه لو تعلمين ما يمكن أن يحدث قبل الساعة التاسعة .

● قالت الأم وهى تعتدل فى جلستها كأنها تهم أن تحكى حكاية طويلة

— هل سمعت أخبار صديقتنا عدلية ؟

وقالت الابنة بلا اهتمام :

— خير .

وقالت الأم من خلال ابتسامة رثاء

— انها مصممة على أن تسافر مع زوجها .

وقالت الأم وهى تمط شفتيها :

— انه هو نفسه لا يريدها أن تسافر معه.. يريدها أن تبقى فى مصر .. مع طفليهما.

وقالت الابنة ساخرة

— وما حجته للهرب من زوجته ؟ !

وقالت الأم فى حدة

— انه لا يهرب منها.. ولكنه يقول أن الأفضل للأولاد أن يبقوا فى مصر ليس فى صالحهم أن يأخذهم معه ولا يطمئن إلى تركهم مع أمه أو مع أمها.. ثم انه يسافر فى بعثة لمدة ثلاث سنوات. ومرتب البعثة لا يكفى لتعيش العائلة كلها معه ..

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها الساخرة

— ماذا تقول هى ؟

وقالت الأم وهى تتنهد كأنها تزفر اشفاقها

— تقول انها ستدخل ولديها مدارس إنجليزية.. والمدارس الانجليزية توجد فى كل مكان من العالم كما توجد فى مصر.. فلا خوف عليهما من أن



تصحبهما معها.. ثم أن ابن خالتها يقيم ويعمل فى لندن وهو مستعد أن يحول مبلغا بالاسترلينى ليساعدهما سنوات البعثة .

وقالت الابنة فى فتور

— لماذا لم يقتنع زوجها بهذا الكلام ؟

وقالت الأم فى حماس كأنها معجبة بالزوج

— انه يرفض أن يعتمد على ابن خالة زوجته ويرفض أن يمرمط أولاده بين المدارس هنا وهناك.. وهو يقول انه يضحى براحته وعواطفه عندما يسافر وحده بعيدا عن زوجته وأولاده. ولكن ما يخفف عنه أنه سيراهم فى الاجازات .

وقالت الابنة فى زهق .

— لكن لماذا تصر عدلية على السفر مع زوجها .

وقالت الأم فى قرف :

— لأنها تغار عليه . يخيل إليها انه سيقضى هناك كل ليلة فى احضان امرأة.. ومن يدرى.. قد تلطشه واحدة منهن وتتزوجه ويعود من البعثة ومعه الدكتوراة وزوجة ثانية وربما ابن أو ابنة

وقالت الابنة وعيناها تتسعان كأنها ترى معركة :

— لها حق .

وقالت الأم ساخطة

— ليس لها حق.. انها مجنونة.. ان زوجها معروف بأخلاقه السامية وحرصه على بيته وأولاده ولا يمكن أن يترك نفسه لأى امرأة

وقالت الابنة فى تحد :

— مهما كانت اخلاقه.. فهذه هى طبيعة الرجل.. ان طبيعته تدفعه إلى البحث عن الجنس الآخر.. لا يستطيع أبدا أن يكتفى بنفسه.. وقد سمعت فى الجامعة قصة غريبة عن رجال كوريا الذين يعملون فى السعودية.. قصة تجعلنى اقشعر من صنف الرجال..

وقالت الأم فى لهفة :

— ما هي القصة .. ماذا سمعت؟ وقالت الابنة وهي تلوي شفتيها في قرف

— ان في السعودية الآن آلافا من الخبراء والعمال الكوريين يقومون بالعمل في المشروعات .. وهم هناك منظمون جدا .. كأنهم فرق عسكرية .. ورغم ذلك لم يستطع الرجال التغلب على طبيعتهم فبدأوا يترددون على البيوت ويطرقون الأبواب فإذا فتحت لهم امرأة طلبوا كوبا من الماء .. وتدخل المرأة لتعود لهم بكوب الماء فيدخل الرجل وراءها ويعتدي عليها .. وقد تعددت هذه الحوادث حتى أصدر وزير الداخلية السعودي بيانا نشر في الصحف ووزع على جميع البيوت والمكاتب يأمر بعدم فتح الباب لأي كوري أو تقديم أي شفطة ماء لأي واحد منهم ..

وقالت الأم في ذهول

— وماذا فعلت الحكومة الكورية .. هل سحبت عمالها من السعودية؟

وقالت الابنة من خلال قرفها

— لا .. لقد خضعت للواقع .. واقع الرجل .. وأرسلت إلى السعودية مجموعة من النساء الكوريات ليعشن هناك ويشبعن طبيعة الرجل الكوري

وقالت الأم معترضة

— لا يمكن أن تسمح الحكومة السعودية بدخول هذا النوع من النساء ..

وقالت الابنة ساخرة

— ربما دخلن باسم انهن زوجات أو عاملات ..

وقالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها في تحد:

— على كل حال .. ان زوج عدلية ليس من كوريا .. انه من مصر .. والمصريون نوع آخر من الرجال .. انهم أسياد من الرجال



وقالت الابنة وهي تنظر إلى أمها كأنها تستهين بعقليتها

— يا أمي هذه طبيعة الرجل منذ وجد الرجل .. ومنذ العصور ... كانت القبائل أو الدول ترسل فرقا من النساء وراء الجيوش المحاربة حتى يجد الرجل المحارب المرأة التي تشبع طبيعته ..

وقالت الأم وهي تكاد تبصق كلماتها

— انكن جيل مادي .. يغلب عليه الاحساس بالجنس ويقيم كل حساباته ومنطقه على أساس جنسي .. هناك الحب والاخلاق والعاطفة .. كل ذلك ممكن أن يتغلب على طبيعة الرجل وطبيعة المرأة .. ومعا إذا تزوجت أنت واضطر زوجك للسفر فستكونين أنت أيضا كعدلية .. لن تسمحي له بالسفر وحده.

وقالت الابنة ضاحكة وهي تجري من أمام أمها

— لا .. لن أكون مثلها .. لأني سأسافر قبله لأحصل على الدكتوراة قبله .. وأتركه هو يقرر أن يصحبني أو يتركني أسافر وحدي ..

* * *

● قالت الابنة وهي تبتسم لأمها في دلال

— مضت أيام طويلة دون أن تسأليني عن أخبار صديقي عصام.

وقالت الأم بلا اكتراث

— هذا موضوع خاص بك ولا أريد أن أتدخل فيه.

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها

— ألا تريدين أن تطمئني على حياة ابنتك الخاصة

وقالت الأم وهي تبادل الابنة الابتسام

— ان ما يطمئنني هو ثقتي فيك

وقالت الابنة في رجاء

— قد أحب أن أسمع رأيك فيما يحدث بيني وبين « عصام » ؟
وقالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها في حنان

— انني أفضل أن تعتمدي على رأيك .. فاني إذا قلت لك رأيي فقد تخالفينه فأغضب منك وقد يكون رأيي خاطئا فتحملينني مسئولية مصعيتك .. وقد يكون رأيا صحيحا فيصبح الفضل لي لا لك ويصبح كل مستقبلك مع « عصام » في يدي .. أنا التي ترفض أو تقبل الطريق الصحيح أن تعتمدي على نفسك وعلى رأيك وعلى تصرفاتك .. أن تعتزي بشخصيتك وتحملي مسئولية نفسك ..

وقالت الابنة وهي تلوي شفتيها كأنها غاضبة :

— ولكني أحس أحيانا بحاجتي للحديث عن حكايتي مع «عصام»..

وقالت الأم ساخرة :

— انها عقدت كل مشاكلها ..

وقالت الابنة في دهشة :

— كيف ؟!

وقالت الأم كأنها تكشف سرا :

— ان عقلية الأم غير عقلية الزوجة.. مهما كان الرباط بينهما.. ولذلك لايمكن أن تحل الأم محل ابنتها المتزوجة في فكرها وإحساسها.. وانظري ماذا حدث لفتحية ابنة جارتنا.. لقد تزوجت أول مرة.. وكانت هي التي اختارت هذا الزوج.. ثم بعد ذلك بدأت تستعين بأمها في حل مشاكلها والأم تتدخل.. وكانت النتيجة أن كره الزوج الأم إلى حد أن طلق ابنتها.. وتزوجت «فتحية» مرة ثانية وكانت الأم هي التي اختارت الزوج لابنتها هذه المرة.. وعاشت كأن هذا الزوج قد تزوج الأم وابنتها.. والنتيجة تتكرر.. لقد سمعت أن «فتحية» على وشك الطلاق من الزوج الثاني



. . . ب الابنة في قرف

— هذا ليس ذنب الأم ..

وقالت الأم في إصرار

— هذا ذنب الابنة لأنها تركت أمها تتدخل في مشاكلها، ولم تعتمد على نفسها وعلى العلاقة الخاصة بينها وبين زوجها

وقالت الابنة في سخط

— كأنك لاتريدين أن تكوني مسئولة عني ؟

وقالت الأم في هدوء

— يا ابنتي ان لكل انسان قاربه في الحياة.. والذي يجدف قاربه بنفسه يستطيع أن يصل به إلى ما يريد، أما الذي يترك أهله يجدفون له فهو يصل إلى ما يريده أهله لا إلى ما يريد هو.. وقد ينتهي إلى أن يلقي بنفسه في البحر هربا من القارب.. فافعلي مثلي وجدفي قاربك بنفسك.. إنني أصل دائما إلى ما أريد لأني أجدف بنفسي ولنفسي..

وأنت أقرب الناس إلي وأقدرهم على فهمي..

وقالت الأم وهي هادئة

— قد يكون حديثك لمجرد التفريج عن نفسك. ولكني لن أفهمك كما تفهمين نفسك ان العلاقات الخاصة بين البنت والولد تقوم على فهم أحدهما للآخر لا على فهم الغرباء عنهما.. ان فهمك لعصام ينطلق من حبك له، ولكني لا أحب «عصام» كما تحبينه لذلك لايمكن أن يلتقي فهمي له بفهمك له .

وقالت الابنة في رفض

— ولكن الكلام يفتح آفاقا جديدة أمام العقل فيستطيع أن يجد الطريق الأصح

وقالت الأم وهي تهز رأسها رفضا

— الكلام يضخم المشاكل وقد يتسبب في أن تتوه البنت عما هو في صالحها.. هل تعلمين . انني منذ تزوجت أباك ونحن نتعرض لمشاكل كثيرة بيني

وبينه . ولكنني تعمدت الاتحدث عن هذه المشاكل والخلافات مع أحد.. حتى ولا مع أمي أو أختي.. بل اننا كنا احيانا نتخاصم فلا يدرى أحد أننا متخاصمان ولايحس أحد بمظهر من مظاهر هذا الخصام حتى ولا أنت أو أخوك.. كنت أصر على الاعتماد على نفسي وعلى العلاقة بيني وبينه وعلى الرباط الذى يربطنى به حتى أستطيع أن أحل المشكلة وأسوى الخلاف.. وأعتقد أن هذا هو الأساس الذى يمد فى عمر زواجنا ويسعدنا.. ويجعل من المشاكل والخلافات مجرد أيام قصيرة عابرة ..

وقالت الابنة فى حدة

— ليس كل الناس مثلك.. ان «فتحية» ابنة جارتنا تقول لأمها كل شيء يجرى بينها وبين زوجها.. ماذا قال اليوم.. وأين ذهب.. وماذا دفع من مصروف البيت .. بل انها تقول لها ماذا يحدث بينهما فى الفراش.. انها وأمها كانهما قطعة واحدة.. ولاشك أن الأم تحل لابنتها كل مشاكلها..

وقالت الابنة ساخطة :

— انك لاتريدين أن تتعبي نفسك بالتجديف لى ..

وقالت الأم ضاحكة

— لقد كنت أتعمد الا اتعب أمي أو أبي أو أحدا من أهلي.. بل انى عندما جاءتني ساعة ولادتك لم أبلغ أمي حتى لا أتعبها وأوقظها من النوم لتترك بيتها فى منتصف الليل، بل ذهبت إلى المستشفى وحدى مع أبيك ووضعتك.. وفى صباح اليوم التالى جاءت أمي لتفرح بى وبك.. إلى هذا الحد كنت حريصة على تحمل المسئولية وحدى حتى لا اتعب أمي

وقامت الابنة وقالت فى برود

اطمئني . اعدك أنى لن أتعبك أبدا .. أبدا

وقالت الأم وهي تشدها لتجلس بجانبها



— قولى لى .. ماذا حدث بينك وبين صديقك «عصام» ؟

* * *

قالت الأم وعيناها مفتوحتان فى دهشة :

— أرأيت «مسعدة» بعد أن جاءت من القرية ..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— رأيتها .. مالك مبهورة كل هذا الانبهار ؟

وقالت الأم المنبهرة :

— جسمها .. جسمها يا ابنتي .. انها تبدو وكأنها لا تزال فى عز شبابها رغم أنها تقاربنى فى العمر.. القوام ممشوق.. والبطن مشفوط.. والنهدان مكتنزان بارزان كأنها لم ترضع أولادها.. والعنق مشدود وليس فيه تجعيدة واحدة.. والوجه أملس.. تجنن .

وقالت الابنة ضاحكة

— البركة فى البلاص ..

وقالت الأم من خلال دهشتها :

— تكلمى جادة .. مادخل البلاص فى الاحتفاظ بجمال ورشاقة الجسم.

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها

— انى جادة ياماما.. فالبلاص هو الذى يحتفظ بهذا القوام الجميل لكل الفلاحات.. ان الفلاحة تتعود منذ نشأتها على أن تحمل البلاص على رأسها وتسير به حتى الترعة ثم تعود به ثقيلا مملوءا بالماء وهى تحمله فوق رأسها أيضا.. وتعودت أن يكون رأسها مرفوعا وهو تحت البلاص، وقوامها مشدودا وخطواتها ثابتة.. وهذه هى الرياضة المثلى للاحتفاظ بجمال الجسم.. ولو أننى جمعت بنات القرية وجعلت كلا منهن تلبس بنطلونا أو «مايوه بيكينى» وذهبت بهن إلى نادى الجزيرة أو شاطئ العجمى أو المنتزه. لاكتسحن عيون الرجال.. اعترفوا بهن كملكات جمال.. وربما لطشن الشبان

وتزوجن وأصبحن من بنات الذوات

وقالت الأم ساخرة :

— اذن سأشترى بلاصا لاستعادة رشاقتى ..

وقالت الابنة فى حماس

— لقد اعترف برياضة البلاص فى كل أنحاء العالم.. وأصبحت كل عيادات العلاج الطبيعى وأندية الرشاقة، تضع شيئا ثقيلا على رأس المرأة وتأمرها بالسير مرفوعة الرأس مشدودة القوام حتى تصبح رشيقة.. لقد كانت «مارلين مونرو» تضع على رأسها مجموعة من الكتب وتروح وتجيء سيرا على قدميها لمدة ساعة.. ولاتزال الناس تتحدث عن رشاقة «مارلين مونرو» حتى بعد أن ماتت ..

وقالت الأم فى إصرار :

— اعطينى كتبك لأضعها فوق رأسى وأمشى ..

وقالت الابنة وهى تهز رأسها فى حسرة :

— لا أمل لن تصلى ولن تصل أى امرأة من نساء المدينة إلى جمال قوام الفلاحة ..

وقالت الأم وهى تلوم ابنتها :

— لماذا تخيبين أملى .. لماذا ؟!

وقالت الابنة فى هدوء وكأنها تحادث نفسها :

— لأن الفلاحة لاتحمل البلاص كرياضة، ولايخطر على بالها انها تحمله للاحتفاظ بقوامها ورشاقتها.. انها تحمل البلاص لأن مطالب الحياة تفرض عليها حمله.. لذلك فهى تحمله وتسير به كل يوم دون تعمد ودون افتعال ودون أن تتكاسل يوما أو تهرب يوما من حمله.. أما نحن فإذا حملنا فوق رؤوسنا بلاصا أو شيئا ثقيلا فإن إحساسنا بأننا نؤدى رياضة ليست مفروضة علينا سيجعلنا نواظب يوما أو يومين ثم نتكاسل ونهرب من هذه الرياضة.. وهذا ما يحدث



لكل البنات والنساء اللاتى يزاولن رياضة التخسيس.. تريهن يوما شيقات وبعد مدة يعدن كما كن منتفخات ومترهلات ..

وقالت الأم فى عصبية :

— على كل حال أنا لا أعتقد أن البلاص هو سر رشاقة الفلاحة.. ان سرها فى الطعام الذى تأكله.. ان طعام الفلاحة ليس فيه دهنيات ولانشويات ولاسكريات.. وسأبدأ من الغد فى اتباع رجيم الأكل..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى إشفاق

— أى رجيم ؟

وقالت الأم منطلقة فى حماس :

— رجيم الموز .. ثلاثة أيام فى الأسبوع لا آكل إلا الموز .. وبذلك ينقص وزنى خمسة كيلو جرامات كل شهر..

وقالت الابنة المشفقة :

— انه رجيم يسبب الإعياء وستجدين نفسك بعد الأيام الثلاثة الأولى مريضة ..

وقالت الأم وفى عينيها حيرة :

— سأتبع رجيم الأرز المسلوق واللبن الزبادى ..

وقالت الابنة ضاحكة :

— لن تستطيعى أن تستمرى طويلا فى مقاومة الملوخية والمصقعة والمكرونة بالبشاميل ..

وقالت الأم فى إصرار :

— سأتبع الرجيم الأمريكانى .. انه يضم كل الأصناف بما فيها اللحوم والخضار ..

وقالت الابنة كأنها تهدى أمها إلى العقل

— يا ماما انك لن تستطيعى أن تحافظى على الرجيم إلا إذا أكلت دائما وحدك.. لأنك عندما تأكلين معنا تقعين تحت إغراء الأصناف الأخرى التى نأكلها نحن.. ويبوظ الرجيم.. وهذا ما يحدث لكل

من تتبع الـرجيم.. تحافظ على الرجيم يـومـا أو اسبوعـا ثم تقع تحت إغـراء المأكولات الموضـوعـة على المائدة . وأنا أعـرف أنك لن تقبلي أن تأكلي وحـدك.. تصرين على أن تكوني معنـا ونحن نأكل  هذه طبيعـة الأم .

وقالت الأم في سخط .

— أنت تغلقين كل الأبواب أمامي ..

وقالت الابنة وهي تحاول أن ترفه عن أمها

— الباب المفتوح هو محاولة التغلب على طبيعتك.. أن تقومي من هذه الجلسة التي تجلسينها بالساعات فـوق الأريكة وتتحركي  ان تتحركي طـول اليـوم سـواء كنـت داخل البيت أو خـارج البيت.. إن الحركة غير المفتعلة التي يفرضها العمل هي الرياضة المثلى المستمرة.. ثم لاتخصصي نـوعـا من الأكل خـاصـا بك بل يكـون كل أكل البيت عبارة عن رجيم خال من الدهنيات والنشويات والسكريات .. و ..

وقاطعتها الأم في غضب .

— انك تتصورين نفسك أستاذة لأنك رفيعة ورشيقة .

وقالت الابنة في أسى .

— اني أخشى المستقبل ..

وقالت الأم الغاضبة

— أي مستقبل ؟!

وقالت الابنة وهي تتنهد

— مستقبل الوراثـة .. فأنت أيضا كنـت رفيعة ورشيقـة إلى أن تزوجت وأنجبت فـأصبحت بدينـة وترهلت ..

وقالت الأم ساخرة .

— وكيف تتقين هذا المستقبل ؟!

وقالت الابنة كأنها تحلم

— لن أتزوج ولن أنجب .



وضحكت الأم قائلة

— يـوم تقـررين الـزواج لن يهمك إذا كنت بعده رشيقـة أم مكركشة  اسأليني أنا

قالت الأم وكأنها تصرخ

— هل عرفت قصة صديقتنا «ايزيس» ؟

وقالت الابنة في دهشة

— من هي صديقتنا «ايزيس» ؟

وقالت الأم وكأنها تلوم ابنتها

— انك لا تتـذكـرين ايـزيس .. لقـد كـانت من أعـز صـديقـاتي.. وهاجرت مع زوجها إلى استراليا منـذ أكثر من خمسة عشر عاما.. وكنت أنت لاتزالين طفلـة.. وكانت «ايزيس» منـذ أن هاجرت ترسل لي خطـابا كل شهر تقريبا وأرسل لها.. ولكن مع السنوات تباعدت خطاباتنا حتى انقطعت  ولكني كنت أسمع أخبارها من ابنـة عمها «نجيبة هانم» التي لاتزال تراسلها.. إلى أن سمعت الخبر الأخير .. مصيبة .

وقالت الابنة في لهفة .

— أي مصيبة ؟

وقالت الأم وهي تلوى شفتيها في قرف

— لقد هربت ابنتها سناء من البيت .

وقالت الابنة في برود وكأنها تستهين بالمصيبة

— وهل أبلغت الشرطة ؟!

وقالت الأم وهي تزداد قرفا .

— ممنـوع .. ممنـوع هنـاك أن تبلغي الشرطـة للبحث عن ابنتك..

وقالت الابنة وهي لاتزال باردة

— لماذا ؟

وقالت الأم في حدة :

— لأن القوانين الاجتماعيـة هناك تبيح للبنت أو

للولد حق الهروب من البيت بعد سن السادسة عشرة . وليس من حق الأب أو الأم أو أى قوة أن تعيد البنت إلى بيتها رغم أنفها .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى إشفاق

— يا أمى، هذا لا يعتبر هروبا من البيت ولكنه يعتبر حق البنت فى أن تعتمد على نفسها وتمارس حريتها بعد سن السادسة عشرة. وهم هناك يعتبرون سن السادسة عشرة هى سن البلوغ الاجتماعى، بعدها يستطيع كل فرد أن يتحمل مسئولية نفسه

وصرخت الأم

— هذه تسمى فوضى اجتماعية . كيف نترك البنت تعيش وحدها مع شلة من صديقاتها وهى لاتزال طفلة فى السادسة عشرة . كيف نتركها تهرب من رقابة العائلة لنتركها تقع فريسة للشبان وتروح ضحية الخداع والشهوة .

وقالت الابنة متحمسة :

— يا ماما ان رقابة الأهل لم تعد أساس تربية البنت .. وما تستطيع البنت أن تفعله وهى بعيدة عن الأهل، تستطيع أن تفعله وهى تعيش مع أهلها.. المهم هو ماذا تريد أن تفعله.. وهذا يعتمد أولا وأخيرا على قوة شخصيتها وعلى المبادىء ونوع الحياة التى تؤمن بها . زمان.. فى الأجيال القديمة.. كانت البنت محرومة من الخروج من البيت، فكانت الخطايا تتم داخل البيت حتى مع الخدم، بل جاء وقت اشتهرت وتعددت فيه حوادث هروب البنات مع سائق سيارة العائلة . فى حين أن هناك بنات كثيرات يعشن اليوم وحدهن يتلقين العلم فى الخارج، أو يقمن فى بيوت الطالبات، ورغم ذلك لايقعن فى الخطيئة .

وعادت الام تصرخ

— لا استطيع أن اتصور فتاة فى السادسة عشرة تستطيع أن تصون نفسها بعيدا عن رقابة



الأهل . انها فى هذه السن تعتبر طفلة.. عبيطة.. ساذجة .

وقالت الابنة وهى تصرخ كأمها

— هذا هو سر تأخر مجتمعنا . المجتمع الشرقى كله . انا تعتبر البنت طفلة حتى بعد أن تصل إلى العشرين أو الثلاثين . لا نعترف أنها بلغت سن الرشد ولا نطمئن عليها إلا بعد أن تتزوج . وكأن الزواج هو شهادة ميلاد البنت.. الشهادة التى تعترف بشخصيتها المستقلة بالنسبة لأهلها . فى حين أن المجتمعات المتقدمة تحمل الابن والابنة المسئولية كاملة منذ سن السادسة عشرة.. بل ان من حق الأب أن يمتنع عن الانفاق عن أولاده بعد هذه السن . ولذلك فالشعب هناك أكثر تقدما منا لأن الأفراد يتحملون مسئولية أنفسهم فى سن مبكرة ويمارسون الحياة قبل أن نمارسها. ان كثيرا من عباقرة التاريخ بدأوا حياتهم وهم يبيعون الصحف فى الشوارع وهم أطفال.. ومن ثمن بيع الصحف يشترون العلم ويدخلون المدارس..

وقالت الأم كأنها تبكى

— يا ابنتى لاتنسى أن أبا «سناء» رغم أنه يعيش فى استراليا، إلا أنه من أصل صعيدى مصرى.. فكيف يحتمل أن تعيش ابنته وحدها.. حرة.. على كيفها.. كيف يستطيع أن يتخلص من تقاليد الصعيد التى ترسبت فى أعماقه.. لقد قالت صديقتنا «إيزيس» فى خطابها.. انها ذهبت هى وزوجها إلى ابنتها حيث أصبحت تعيش بعيدا عنهما فى شقة خاصة مع إحدى صديقاتها.. وتحايلا عليها لتعود إلى البيت.. ولكن البنت رفضت وأصرت على الرفض حتى وهى ترى دموع أمها وأبيها..

وقالت الابنة فى هدوء :

— إذا كان أبو «سناء» صعيديا. فابنته ليست صعيدية.. انها ولدت فى استراليا وعاشت المجتمع الاسترالى وأصبحت استرالية كاملة، بل الأغلب أنها لاتتحدث اللغة العربية لأنها ليست لغة المجتمع

الاستراليا.. وكل ما يستطيعه الأب هو أن يثق بابنته داخل هذا المجتمع لا داخل المجتمع الذى نشأ فيه مجتمع الصعيد المهم. ان «سناء» لاتستطيع أن تعيش بعيـدا عن البيت إلا إذا عملت حتى تستطيع أن تعول نفسها .. فهل تعمل سناء ؟

وقالت الأم فى حسرة :

— ان إيزيس تقول فى خطابها أن ابنتها تعمل فى محل تجارى، فى الوقت نفسه تستكمل دراستها فى الجامعة . ورغم ذلك فإن أباها يصر على أن يرسل لها مبلغا شهريا حتى يعينها على مصاريف الحياة. لأنه يخشى أن تحتاج يوما ويدفعها الاحتياج إلى أن تلقى نفسها فى أحضان شاب ينفق عليها . انه يحميها من الاضطرار لأن تبيع نفسها .

وقالت الابنة فى احتقار :

— انها عقلية رجعية .. ان الخطيئة ليست مقصورة على المحتاجات. أغنى بنات البلد يقعن فى الخطيئة ويستسلمن لها . ولو كان هذا الأب متحضرا لما أرسل لابنته قرشا واحدا حتى يضطرها إلى الاعتماد على نفسها فتتعلم الحياة وتبنى مستقبلا واقعيا ناجحا .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى لوم :

— هل كنت تستطيعين أن تتركى أنت البيت ؟

وقالت الابنة وكأنها ترثى نفسها

— كنت أتمنى !

وقالت الأم فى غيظ

— ولماذا لاتتركينه ؟

وقالت الابنة فى حسرة

— لأنى لا أتحمل دموعك ولا دموع بابا ..

* * *

قالت الأم وهى تستقبل ابنتها العائدة من الجامعة

— لقد كانت «عزيزة هانم» فى زيارتنا ..



وقالت الابنة وهى تلقى بنفسها على المقعد .

— وما أخبارها ؟!

وقالت الأم بسرعة وكأنها فرحة بحكاية جديدة .

— ان ابنتها «سميرة» تريد أن تترك العمل ..

وقالت الابنة بلا مبالاة .

— لأنها تعمل فى مؤسسة حكومية وتريد أن تعمل فى بنك أو فى مكتب أو فى شركة أجنبية.. أليس كذلك؟! كل البنات يحاولن الآن ترك الحكومة والعمل فى الأعمال الحرة.. المرتب أكبر.. أكبر جدا.. ان أى فتاة تعمل فى بنك أجنبى لايقل مرتبها عن مائة جنيه.. وأعرف فتاة تعمل سكرتيرة وصل مرتبها إلى مائتى جنيه رغم أنها متخرجة منذ عامين فقط.. ان «سميرة» لها حق إذا فكرت فى ترك العمل بالمؤسسة..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تعد لها مفاجأة

— ليس هذا هو السبب الذى تترك «سميرة» العمل من أجله .

وقالت الابنة وهى لا تزال باردة .

— ما هو السبب ؟!

وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها

— ان رئيسها يضايقها ..

وقالت الابنة وقد بدأت تهتم

— كيف يضايقها هل هو الذى يضايقها أم أنها لاتطيق العمل؟!

وقالت الأم كأنها تلقى قنبلة .

— إنه هو.. انه يغازلها.. وهو يدعوها إلى مكتبه كل يوم عشر مرات لأسباب تافهة.. ثم بدأ يطلب منها أن تلقاه خارج العمل.

وقالت أمر طبيعى لايثير الغضب ولاالتفكير فى ترك العمل

وصاحت الأم

— ماالذى تقولينه.. كيف يغازلها وهو أكبر منها

بعشرين عاما ومتزوج وله أولاد وربما كانت ابنته أكبر من «سميرة»
وقالت الابنة تقاطع أمها.

— ياماما كل البنات معرضــات لغزل الرجال سواء فى العمل أو فى الشارع والغزل يرضى غرور البنت ويقنعهـا بأنها جميلة ومثيرة. والمهم هو تصرفات البنت وهــى تتلقى هذا الغزل.. انها تستطيع دائما أن تصده وتحترم نفسها وهى تحتفظ بابتسامتها..

وصاحت الأم

— كيف تستطيع أن تصد غزل هذا الرجل وهو رئيسها فى العمل ويسيطر على مصيرها كفتاة عاملة.. يمنحهـا العلاوات والترقيات والمناصب إذا استجابت. ويخرب حياتها ويعكنن عليها إذا رفضت..

وقالت الابنة فى هدوء:

— رغم كل هذا تستطيع أن تصده لو استطاعت أن تحترم نفسها..

وقالت الأم ساخرة

— وكيف تستطيع ياحبة عينى أن تحترم نفسها؟

وقالت الابنة وهى تطلق عينيها فى الفضاء كأنها تتصور نفسها

— ان يشمل الاحترام كل شخصيتهـا.. الثوب الـذى ترتـديـه فى العمل.. وخطـواتها فى مشيتهـا.. وتسريحة شعرهـا.. والأصبـاغ على وجهها. والابتسامـة التى تبدو على شفتيها.. والمواضيع التى تقبل أن تتحدث فيهـا.. وعلاقـاتها بزمـلائها وزميـلاتها.. كل شىء يجب أن تقيسه بمقاييس الاحترام..

وقالت الأم وكأنها دهشة من ثقافة ابنتها:

— هل جربت الغـزل.. هل يغـازلك الطلبـة فى الجامعة؟

وقالت الابنة فى بساطة:

— طبعـا كل بنت تــدخل الجامعـة تتعـرض للغزل خصوصا فى العام الأول. وينتهى الطلبة بعد محاولاتهم إلى تقسيم البنـات إلى أنواع فهـذه بنت



سهلة وهـذه بنت صعبة وهذه بنت مستحيلة. وقـد أقنعت الطلبة بأنى بنت مستحيلة.

وصاحت الأم فى غيظ

— كـذابـة.. ان علاقتـك بزميلك «عصــام» ليست مجرد عـلاقـة صداقة.. وقد اعترفت لى

وقالت الابنة وهى لاتزال هادئة

— أنـا التى اخترت «عصام» فى حـدود احترامى لنفسـى.. ولـذلك فعلاقتنا محترمة وأى علاقـة بين البنت والولد لايمكن أن تبدأ إلا إذا قبلت البنت أن تبـدأ . ومنحت الـولد الحق فى أن يبـدأ.. وعلى البنت أن تحدد كيف تبـدأ هـذه العـلاقـة وكيف تستمر وإلى أين تنتهى انها مسئولية البنت وليست مسئولية الولد..

وقالت الأم وهى فى قمة الغيظ

— ولكن «سميرة» لم تقبل أن يبدأ رئيسها فى مغازلتها .

وقالت الابنة فى إصرار

— مستحيل.. لابد أنها شجعته على مغازلتها فى البداية على اعتبار أنها لن تخسر شيئـا.. مجرد كلمات تـرضيـه بها حتى تكسب نفـوذه وسلطانه فى خدمة أغراضهـا . ولكنها أفاقت بعد أن وصلت مطالبه إلى الحد الذى يكلفها الكثير..

وقالت الأم متهكمة

— وكيف تستطيع اليوم أن تصد هذه المطـالب دون أن تخسر عملها ووظيفتها ؟

وقالت الابنة فى هدوء

— بأن تسترد احترامهـا لنفسهـا وتحاول أن تفـرض عليــه هــذا الاحترام دون ضجــة ودون فضيحة

وقالت الأم فى حدة

— هذا كـلام فاضى. كـلام لا علاقـة له بـواقع

الرجال.. لقد وجدت «عزيزة هانم» الطريق الصحيح لانقاذ ابنتها .

وقالت الابنة فى دهشة

— ماذا وجدت ؟

وقالت الأم كأنها تعلن فرحة الانتصار

— ستذهب إلى زوجة الرئيس وتحكى لها الحكاية وتطلب منها أن توقف زوجها عند حده ..

وصاحت الابنة كأنها تستجير

— انها مغفلة .. وستقضى على مستقبل ابنتها .. فكل ما يهم الزوجة هو أن تدارى فضيحة زوجها حتى لا يطرد من عمله . لذلك ستتفق معه على وسيلة للتخلص من «سميرة» وابعادها عن العمل. قد يدبر لها فضيحة أخلاقية أو جريمة رشوة.. وتطرد «سميرة» وينال زوجها مكافأة لحرصه على تطهير المؤسسة ..

وصاحت الأم ردا على صياح ابنتها

— انتن المغفلات .. لاتعشن واقع الرجال ..

وقامت الابنة تجرى خارج الغرفة قائلة .

— مصيبة الامهات انهن يعشن واقع زمان، ولايستطعن أن يفهمن واقع هذه الأيام .

* * *

عادت الابنة إلى البيت وهى ساهمة لاتتكلم. وسألتها الأم وهى تحتضنها بعينين جزعتين

— أين كنت ؟

وقالت الابنة الساهمة

— كنت مع «عصام» ..

وقلت الأم فى دهشة

— هل تصالحتما بعد هذا الخصام الطويل ؟

ورفعت الابنة عينيها كأنها افاقت من خواطرها وقالت .

— لم نتصالح ولم نعش خصامنا فقد كنا فى



ـة بعيدة عنا ولكنها تشغل بالنا نحن الاثنين

. قالت الأم فى لهفة

— أى مشكلة ؟

وقالت الابنة وكأنها ترثى عزيزا عليها

— مشكلة «نيفين»

وقالت الأم وصوتها يرتفع كأنها تحث ابنتها على الكلام

— من هى «نيفين».. تكلمى يا ابنتى.. احكى لى ؟

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى

— انها زميلتى فى الكلية.. وهى تحب زميلنا «خليل».. وهو صديق «عصام».. وقد مضى على حبهما عامان ثم قررا الزواج.. وتقدم «خليل» إلى أهلها فرفضوه ..

وقالت الأم بسرعة

— رفضوه لأنه لايزال طالبا ..

وقالت الابنة فى حدة كأنها تلوم أمها

— انه ليس مجرد طالب .. انه شاب يصنع نفسه بنفسه.. وقد حصل على دبلوم التجارة المتوسطة وعمل فى شركة حتى يدارى فقره.. واستطاع فى نفس الوقت أن يحصل على الثانوية العامة وأن يلتحق بالجامعة املا فى أن يحصل على الشهادة ويصل إلى مركز أكبر ومرتب أكبر.

وقالت الأم وهى متلهفة على سماع الحكاية

— إذن لماذا رفضوه ؟

وقالت الابنة وقد عادت ساهمة :

انها حكاية طويلة .

وقالت الأم فى توسل

— احكى يا ابنتى الحكاية .. وحياة مامتك .

وقالت الابنة وكأنها تحادث نفسها :

— ان نيفين تعيش مع أخوتها بعد أن توفى أبوها

وتزوجت أمها من زوج آخر عاشت معه بعيدا عن أبنائها والأخوة هم الذين رفضوا زواجها من «خليل»

وقالت الأم متعجلة

— هل هم أخوة كبار ؟.

وقالت الابنة الساهمة

— انهم كبار .. وهم يعملون ويكسبون .. وهم الذين ينفقون على البيت .. و«نيفين» لاتملك إلا معاش أبيها وهو لايتعدى ثمانية جنيهات في الشهر.. وقد كانت تعلم أن أخوتها سيرفضون زواجها ومنعت «خليل» من الذهاب إليهم.. ولكن أمل الزواج ظل يلح عليهما حتى ذهب «خليل» وقابل أم نيفين.. ووافقت الأم ورحبت بالعريس .. ولكنها عندما أبلغت أبناءها بالخبر ثاروا ثورة عنيفة واعتبروا أن أختهم فتاة منحلة . فمادام « خليل » قد جاء لخطبتها فلا شك أنه كان يعاشرها ولعلها عاشرت قبله كثيرا من الطلبة .. ثم من هو « خليل» . انه عامل في شركة .. فقير .. ليس له عائلة تشرفهم .. مستحيل .. لا يمكن أن يتركوا أختهم لتتزوج هذا الفقير وأكثر من ذلك . فعندما وجدوا أختهم تلح في الزواج منعوها من الذهاب إلى الجامعة وفرضوا عليها أن تستعد للامتحان من داخل البيت .. وعندما سمع « خليل » بالخبر هرع إلى اخواتها لعله يستطيع أن يقنعهم .. ولكنهم صرخوا في وجهه .. ليس عندنا بنات للزواج .. وطردوه ..

وقالت الأم في دهشة :

— لماذا لا يتزوجها مادامت الأم قد وافقت حتى لو رفض الأخوة.. ان الأم يمكن أن تعتبر وصية ومسئولة عن ابنتها

وقالت الابنة في حسرة

— ان «نيفين» لا تريد أن تتحدى اخوتها.. ثم أنها في حاجة اليهم ليساعدوها على الحياة حتى بعد ان تتزوج .. ان مرتب «خليل» وكل دخله لا يزيد على



عشرين جنيها. ومعاشها سيقطع بعد الزواج. فكيف تعيش هي وزوجها بعشرين جنيها في الشهر وكيف تجد الشقة والجهاز

وقالت الأم وهي تمتص شفتيها.

— انهما يستطيعان الانتظار حتى يتخرجا في الجامعة ويعملا ويحققا دخلا يعينهما على الحياة

وقالت الابنة في يأس

— ان حبهما أقوى من الانتظار . وقد كان نتيجة الأزمة العاطفية التي يعانيانها أن رسبت «نيفين» في امتحان آخر السنة ونجح «خليل» نصف نجاح أي نجح وهو راسب في مادتين والأكثر من ذلك. لقد صمم اخوتها بعد رسوبها على أن تنتقل من كلية الحقوق إلى كلية الآداب حتى تكون بعيدة عن «خليل».. فأصبحت «نيفين».. تقضي وقتها في الحقوق مع «خليل» أو يقضي « خليل » وقته في الآداب مع « نفين » ويقضي الحب على مستقبلهما ولا يبشر لهما بالنجاح في الامتحانات..

وقالت الأم وقد بدأت تشارك ابنتها في حسرتها ؟

— ماذا فعلت أنت وعصام.. هل ذهبتما إلى أخوة نفين لتقنعوهم بالموافقة على الزواج ؟!

وقالت الابنة وهي غارقة في اليأس

— لا .. لقد التقينا بنيفين وخليل.. وحاولنا أن نقنع «نيفين» بأنها تخطيء وهي تعيش عالة على اخوتها وكانت تستطيع بعد أن حصلت على الثانوية العامة أن تبحث عن عمل وتحصل على أجر تعتمد به على نفسها.. أي عمل .. سكرتيرة.. أو بائعة في محل تجاري.. أو عاملة في مصنع أو فندق.. أو حتى مربية أطفال.. وقلنا نفس الكلام لخليل.. كان يستطيع بدل أن يلتحق بالجامعة أن يبحث عن عمل بجانب عمله ليحصل على دخل أكبر . يستطيع أن

يصل بدخله إلى خمسين جنيها أو إلى أكثر أى إلى دخل يستطيع به وبجانب الدخل الذى تحصل عليه «نيفين» أن يعيشا حياة زوجية كاملة.. أن كل الأعمال اليوم يحترمها المجتمع ما دامت أعمالا شريفة ونظيفة.. والجامعة لم تعد الطريق الوحيد لتحقيق المستقبل الناجح. ولو حدث ذلك فعلا فلن يكون لمعارضة الاخوة فى زواجهما قيمة.. يستطيعان أن يتزوجا وهما فى غنى عن هؤلاء الأخوة.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها كأنها لا توافق على رأى ابنتها:

— أى كنتما تنصحانهما بأن يتركا الجامعة ويبحثا عن عمل.. هل وافقا ؟

وقالت الابنة اليائسة:

— لا أظن.

وقالت الأم فى حماس

— ولا أنا أوافق.. ان الجامعة هى الأساس، والزواج يمكن أن يتأجل ولا يمكن أن يتم على حساب الشهادة الجامعية.

وقالت الابنة ساخرة

— ان نيفين مثلك.. دقة قديمة.. لا تزال بالعقلية التى تفترض أن الشهادة الجامعية هى شهادة الميلاد العقلية التى لا تستطيع أن تتطور لتعيش الحياة الجديدة.

قالت الأم وهى تمصمص شفتيها فى اسى

— صديقتنا «أمينة» أصيبت بانهيار عصبى وحملوها إلى الطبيب..

وقالت الابنة فى جزع:

— لماذا.. ماذا جر عليها الانهيار ؟

وقالت الأم وهى تتنهد فى حسرة:

— المذاكرة.

وقالت الابنة فى دهشة

— هل التحقت بالجامعة وبدأت تذاكر من جديد ؟!

وقالت الأم وكأنها تلوم ابنتها



المذاكرة للجامعة لا تؤدى إلى الانهيار.. ولكنها كانت تذاكر لابنها «سونة» وظلت تذاكر له حتى أصيبت بالانهيار.

وقالت الابنة وكأنها اطمأنت

— انى أعلم أن «سونة» ولد شقى حتى يمكن أن يجن امه بشقاوته.

وقالت الأم فى حدة

— لا.. ليست شقاوة «سونة» هى التى جننت أمه ولكنها دروس المدرسة المفروضة عليه وعلى أمه.

وقالت الابنة ساخرة

— دروس المدرسة لا تجنن الا الكسالى والأغبياء.

وصرخت الأم:

انك لا تعلمين ما هى هذه الدروس انها تجنن أنشط وأذكى الناس. وأنت تعرفين أن «سونة» فى المدرسة الابتدائية وانه فى الثامنة من عمره.. ورغم ذلك فالمدرسة تفرض عليه دروسا فى الحساب.. وفى الدين.. وفى اللغة العربية والانجليزية.. وفى العلوم أى الكمياء والفزياء وعلم الحيوان.. و.. و.. كل هذا لا يمكن أن يستوعبه عقل طفل فى الثامنة من عمره.

وقالت الابنة بلا مبالاة

— لابد أنهم يعلمونه المبادىء الأولية ويعرضونها له فى قصص وحكايات كالتى فى كتب الأطفال.

وقالت الأم فى حسرة

— ابدا.. انهم يدرسونها له كأنه رجل كبير انه فى الدين يجب عليه أن يحفظ الاية ويكتبها ويفسرها.. تصورى ان الشيخ عبدالغفار القارىء قال أن العقل العادى لا يستطيع أن يحفظ هذه الكمية من الآيات ويكتبها إلا اذا تفرغ لها عشر سنوات ومفروض فى المدرسة ان يحفظها الطفل

ويكتبها فى تسعة أشهر فقط أى فى عام دراسى واحد
وقالت الابنة فى زهق:
— لابد أن المدرسة حسبت حساب كل هذا
وقالت الأم وصوتها يضج بالسخط
— أن المدارس عندنا لا تحسب حساب شيء.. ان «سونة» يعود من المدرسة كما ذهب.. بلا شيء جديد فى رأسه.. تصورى.. لقد كانت امه تذاكر له اللغة الانجليزية وسألته ما معنى كلمة هؤلاء فقال لها أن معناها «زرار» فلطمت «أمينة» خديها وصرخت من مصيبتها فى ابنها.. وبعد ذلك تقولين أن المدرسة تحسب حساب كل شيء
وقالت الابنة فى تعجب:
— ولكن لماذا أصيبت طنط أمينة بالانهيار؟
وقالت الأم الساخطة
— انهارت لأنها هى نفسها لا تستطيع أن تستوعب كل هذه المواد ولا تعرف كيف تدرسها لابنها. فتعبت من المواد وتعبت من ابنها. وقد كانت تبذل جهدا مضنيا.. لقد اشترت نسخة من كل كتاب يدرسه ابنها.. وكانت تقضى طول النهار فى دراسته ثم تستلم ابنها بعد أن يعود من المدرسة وتبدأ فى التدريس له.. هى نفسها تلميذة بالنهار مدرسة فى المساء.. حرمت نفسها من متعة الخروج ومن زيارة صديقاتها لتتفرغ للاستذكار لابنها.. إلى ان انهارت.
وقالت الابنة
— لماذا لا تعتمد على الدروس الخصوصية؟
وقالت الأم بسرعة
— انها تؤجل الدروس الخصوصية إلى الشهرين الأخيرين قبل الامتحان حتى توفر فى المصاريف.. رغم ذلك فقد حدث ان اتفقت مع إحدى المدرسات على أن تعطى ابنها دروسا خصوصية واشترطت المدرسة أن تكون الدروس داخل المدرسة



بعد انتهاء الدراسة وقبلت أمينة وكانت تدفع لها جنيها فى الساعة وفى يوم ذهبت إلى المدرسة فى ساعة هذا الدرس فوجدت ابنها يجلس وحده وأمامه كتاب مفتوح وليس معه المدرسة. أين ذهبت؟ قال أن المدرسة ذهبت إلى دورة المياه.. فانتظرتها أمينة عشر دقائق ولم تظهر المدرسة فقامت تبحث عنها فى أنحاء المدرسة إلى أن قال لها البواب أنها خرجت.. وقد تعود قبل نهاية الدرس حتى تضمن الأجر.. هكذا أصبح المدرسون والمدرسات فكيف يمكن الاعتماد عليهم؟.
وقالت الابنة ساخرة:
— لقد كنت أنا فى المدرسة الابتدائية وكنت أنجح.. طبعا لأنى كنت نبيهة وشاطرة ولست كهذا الولد سونة..
وقالت الأم فى قرف:
— المدرسة على أيامك كانت أكثر احتراما منها اليوم.. كان عدد الطلبة أقل.. وكان المدرسون أكثر احساسا بمسئولياتهم.. ثم أنى أنا نفسى كنت أيضا أذاكر لك دروسك بعد عودتك.. ولولا رحمة الله بى لكنت اصبت أيضا بالانهيار.. انك تعلمين أن اثقل ساعات الأم هى الساعات التى تذاكر فيها لأولادها..
وسكتت الابنة برهة ثم قالت كأنها اكتشفت اكتشافا جديدا
— عندى فكرة.. أن تذهب الأم مع أولادها إلى المدرسة خلال التعليم الابتدائى والاعدادى حتى تستوعب الدروس وتستطيع أن تستذكرها لهم بعد أن يعودوا إلى البيت..
ولوت الأم شفتيها فى قرف وقالت
— هذه فكرة سخيفة.. فكيف تسع فصول المدرسة للامهات.. ثم افرضى أن الأم لها ابن فى ثانية وابنة فى سنة ثالثة فبجانب أى منهما تجلس..
وقالت الابنة فى حماس
— عندى فكرة أخرى.. أن نقيم مدرسة خاصة بالامهات تدرس ما يحتاج طفل كل منهن من دروس ويتعلمن أيضا كيف يحترفن مهنة التدريس.. حتى

لايعجزن عن استيعاب دروس أبنائهن ولا عن أسلوب المذاكرة والتدريس.

وقالت الأم وهى لا تزال قرفانة :

— كلام فاض أيضا

وقالت الابنة فى سخرية

— وما هو الكلام المليان ؟.

وقالت الأم فى حماس

— ان تعود المدارس كما كانت على أيامنا .. الفصل لا يضم اكثر من عشرين طالبا وطالبة حتى تستطيع المدرسة ان تكون مسئولة عنهم .. وهذا يتطلب أن يزداد عدد المدارس إلى الضعف وعدد المدرسين والمدرسات إلى ثلاثة أضعاف .. وهذا أمل بعيد ..

وقالت الابنة وهى تقوم وتجرى .

— الأمل القريب هى أن تطلق حرية افتتاح المدارس الخصوصية. وسأبدأ الآن فى وضع مشروع لأكون صاحبة مدرسة خصوصية بعد أن أتخرج فى الجامعة .. وستكونين أنت يا ماما ناظرة المدرسة .. باى باى يا حضرة الناظرة ..

* * *

قالت الأم فى صوت رقيق كأنها تحاول أن تكسب ثقة ابنتها :

— يا ابنتى لماذا لا تحادثيننى عن صديقك « عصام » .. انى أراك أحيانا سعيدة وأحيانا شاردة .. وأحيانا تعيسة .. وأنا واثقة بأن السبب دائما هو صديقك « عصام ».. سبب سعادتك وسبب شرودك وسبب تعاستك ..

ورغم ذلك فأنا لا أعلم شيئا عما يجرى بينكما .

وقالت الابنة وهى تزفر فى زهق

— يا ماما لا شىء يجرى بيننا . ليس هناك ما يستحق أن تعرفيه .. وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى توسل حتى تتكلم

— لقد سبق أن قلت لى أنك خاصمته بعد أن اكتشفت انه على علاقة بامرأة تكبره سنا . تعطيه مالا تعطيه أنت وما لا يطلبه منك ..



وقاطعتها الابنة ساخرة

— وقد قلت لى أيامها ان الرجل لا يحاسب على مثل هذه العلاقات لا بعد الزواج . أما قبل الزواج فإن طبيعة الرجل تجعله محتاجا لمثل هذه العلاقات الجنسية ..

وقالت الأم فى حماس

— هذا صحيح إما الزواج وإما ما ملكت أيمانكم.. أى إما زوجة وإما جارية.

وصاحت الابنة ساخطة :

— ان النص على ما ملكت ايمانكم كان اعترافا بوضع اجتماعى قائم .. كانت الجوارى تباع وتشترى علنا .. وكان الرجل يمارس حقه على الجارية علنا . فإذا أنجب منها فيجب أن يعترف بمن أنجبته ويقبل أن ينسب أولاده من الجارية .. أما اليوم .. فالمجتمع تغير .. ولم يعد من حق الرجال استغلال هذا النص . المجتمع اليوم لايعترف بالجوارى يبعن ويشترين علنا . ولم يعد الرجل يستطيع أن يعلن علاقته بالجارية . والقانون لا يفرض عليه أن يعترف بأولاده منها .

وقالت الأم مبتسمة لتخفف من سخط ابنتها :

— يا ابنتى ليس هناك الآن جوار .

وعادت الابنة تصيح .

— انى اعتبر كل فتاة أو امرأة تقبل أن تكون على علاقة مع رجل بلا زواج . أى فى الحرام . اعتبرها جارية ينطبق عليها كل ما ينطبق على الجوارى من قيم اجتماعية ..

وقالت الأم وهى تتنهد يائسة من ابنتها

— المهم .. ماذا حدث بينك وبين « عصام » .. هل تصالحتما ؟.

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها قرف

— لا أدرى إذا كنا تصالحنا أم لم نتصالح .. ولكننا تكلمنا فى الموضوع

وقالت الأم فى لهفة

— ماذا قلت له ؟!

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة ساخرة كأنها تسخر من نفسها

— ويظهر انى اقتنعت برأيك فقد قلت له انه لا يهمنى أن يستعمل امرأة فى اشباع طبيعته إلى أن يتزوج .. ولكن ما يهمنى هو ألا تكون امرأة واحدة .. ان العلاقة بين الرجل والمرأة مهما كانت طبيعتها تنقلب إذا استمرت إلى تعود أى ان يعتاد الرجل هذه المرأة . يعتادها حتى بلا حب . وقد لا يستطيع الرجل بحكم اعتياده أن يتخلص من المرأة التى اعتادها حتى بعد أن يتزوج ، بل قد يتزوجها هى تحت ضغط تعوده عليها

وقالت الأم فى دهشة ماذا تريدينه أن يفعل ؟!

وقالت الابنة فى اصرار :

— إذا كان مضطرا أن يفعل هذا الاثم فليلتق فى كل مرة بامرأة أخرى حتى يحمى نفسه من التعود على امرأة معينة .. ويحمينى من أن أكون ضحية تعوده على هذه المرأة ..

وقالت الأم الحائرة :

— وماذا قال « عصام » ؟!

وقالت الابنة وهى تتنهد فى ضيق

— قال انه سيقطع علاقته بهذه المرأة .. لن يراها أبدا .. ولن يرى غيرها .. وسيحكم طبيعته بحيث يبقى نظيفا إلى أن نتزوج ..

وقالت الأم فى فرح .

— وهل استرحت وهدأت ؟!

وقالت الابنة وهى ساهمة .

— لا . لم أهدأ .. ان المشكلة تشغلنى ولا تجعلنى أطمئن إلى «عصام» .. انهم فى مجتمعات أوروبا وأمريكا يعتبرون الجنس حاجة آدمية عادية كالأكل والشرب.. لقد قالت لى «طنط سهير» بعد عودتها من أمريكا انها خافت على بناتها من إباحة الجنس هناك.. انهم يدرسون الجنس فى المدارس ويتحدثون عنه فى التليفزيون وقد قالت لى انها



رأت فى التليفزيون برنامجا خاصا بالمراهقات وقد ظهرت فيه فتاة تقول لأمها . ياماما لقد ضقت من بكارتى . هل أذهب إلى طبيب ليفض لى البكارة أم أعتمد على صديقى ، وقالت انها بعد أن سمعت هذ لكلام حرمت على بناتها الجلوس أمام التليفزيون وقررت العودة إلى مصر .

وقالت الأم فى حماس

— سهير لها حق.. لا يمكن أن نترك بناتنا لمجتمعات أوربا وأمريكا.

وقالت الابنة ساخرة

— لقد كان المجتمع المصرى أيام زمان يحسب هو الآخر حساب الجنس.. كانت البنت تتزوج وهى فى السادسة عشرة من عمرها.. وقد تتزوج فى الرابعة عشرة أو حتى الثالثة عشرة.. حتى لا تواجه مشكلة الجنس وكانت العائلات تستخدم نساء فقيرات من الريف حتى يكن فى خدمة شهوات الأولاد حماية لهم من التردد على دور الفسق.. أى كانت العائلات تشترى لأولادها الجوارى.. وقد انتهى كل ذلك.. لا لتطور العقليات ولكن لتطور الحالة الاقتصادية .

وصرخت الأم من خلال دهشتها :

— من أين عرفت كل هذا.. من أدراك بأيام زمان؟!

وقالت الابنة الساخرة .

— اننا ندرس الجنس حتى لو كان مجرما فى المدارس.. ندرسه علميا وتاريخيا واجتماعيا.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها قرفا .

— وبماذا خرجت من هذه الدراسة ؟

وقالت الابنة وكأنها تبكى

— خرجت بأنى أستطيع أن أحتمل وسادتى الخالية إلى أن أتزوج ولو تزوجت بعد عشرين عاما. ولكن.. هل يستطيع «عصام» أن يحتمل وسادته الخالية

وقالت الأم بلا مبالاة

— قلت لك أن هناك فارقا بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة أى طبيعتك

وصرخت الابنة

— لا.. انى مصرة على المساواة بين الرجل والمرأة حتى فى طبيعة كل منهما..!

* * *

قالت الابنة وهى ساهمة وصوتها يقطر بالمرارة.

— لا أدرى.. هل هناك فعلا ما يسمى بالحب.. وما هو الحب؟!.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تحاول أن تدخل فى أعماقها

— ما الذى جعلك تتساءلين اليوم ؟!

وقالت الابنة من خلال مرارتها

— تصورى ياماما ان صديقتى معالى ظلت تحب حسنين خمس سنوات ثم فجأة تركته. هى التى تركته وتركته بلا سبب وهى غير نادمة.. على السنوات الخمس التى ضاعت من عمرها.. ولا تحس بما يقال عن عذاب الفراق وجحيم الهجر. كأنها لم تكن تحب. أو كأن الحب لا يساوى شيئا..

وقالت الأم فى بساطة :

— لابد أنها فقدت الأمل..

وقالت الابنة فى دهشة

— أى أمل ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها برهة ثم قالت

— اسمعى يابنتى.. دعينى أحدثك عن الحب ولو أنك تتهمينى بأنى من الجيل القديم الذى لا يفهم فى الحب أن الحب ليس مجرد احساس بين رجل وامرأة.. ولكن هذا الاحساس يتشكل فى صورة مشروع.. وهذا المشروع هو الذى يحدد الأمل.. وفى البداية يكون هذا المشروع هو مشروع زواج.. والأمل هو ان يتم هذا الزواج وبعد الزواج يكون مشروع الحب هو النجاح فى الحياة وانجاب الاولاد ونجاح الاولاد فإذا لم يجد الحب مشروعا يعيش من اجله يضيع الحب بسرعة يتغلب عليه الملل والسأم ثم اليأس

وقالت الابنة فى حدة.

— ياماما ان الفتاة فى هذه الأيام لا يمكن أن تبدأ بالتفكير فى الزواج الزواج يبدو هذه الأيام كأنه عملية تجارية كأن الفتاة تريد أن تبيع نفسها للشاب نظير ثمن.. كم يدفع.. وماذا يقدم لها.. لهذا فإن الحب لم يعد يشترط الزواج..

وقالت الأم كأنها تلوم ابنتها

— حتى لو بدأت بالاستسلام لا حساسها.. فلا يلبث هذا الاحساس بعد أن يشتد أن يرتبط بالعقل وتبدأ البنت فى التفكير فى المشروع.. أى فى الزواج.

وقالت الابنة وهى أشد حدة

— ان الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار عاشت فى حب مع الفيلسوف سارتر أكثر من خمسين عاما بلا زواج.. انها إحدى زعيمات المطالبة بحقوق المرأة فى العالم..

وقالت الأم ساخرة :

— ما لنا والأجانب.. ورغم ذلك فلابد أن سيمون دى بوفوار قد عاشت مع سارتر فى مشروع لا يتطلب الزواج.. لابد أن يكون هناك مشروع يجمع بينهما ويحقق أملهما.

وقالت الابنة وكأنها تقاوم منطق أمها

— حسنين كان يعد معالى بالزواج عندما يستطيع.

وقالت الأم فى هدوء

— لابد أنها يئست من أنه سيستطيع يوما الزواج. أو أنه سيقبل الزواج وصرخت الابنة فى ثورة

— حتى بعد الزواج فقد لا يستمر الحب.

وقالت الأم فى برود

— إذا لم يستمر الحب فقد يستمر المشروع..

وعادت الابنة تصرخ

— أى مشروع هذا الذى يستمر بلا حب؟.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تشفق عليها

— مشروع النجاح فى الحياة والنجاح بالأولاد.. إننى أعرف أن جارتنا سكينة لا تحب زوجها هذا الحب الذى تتصورينه.. ولكنها تتحمله وهو يتحملها لأن النجاح يجمعهما.. انهما ناجحان فى بناء بيتهما.. بيت الزوجية . وفى توفير النجاح لبناتهما وأولادهما.. ولولا هذا النجاح لفقدا الأمل فى مشروعهما.. أى مشروع الزواج وربما كانا قد انفصلا وطلقا.

وقالت الابنة ساخرة :

— انى أعرف حالات تجمعت فيها كل عناصر النجاح لمشروع الزواج.. ورغم ذلك تم الطلاق.. وكانت الزوجة هى التى أصرت على الطلاق..

وسكتت الأم برهة ثم قالت منطلقة كأنها وجدت الجواب على ابنتها.

— هذه حالات شاذة.. تكون فيها طبيعة المرأة ليست طبيعة عادية.. تكون من طبيعتها انها تضيق بالرجل الواحد ولا تلبث أن تمله وتبحث عن غيره.

وقد تكون امرأة مغرورة بنفسها.. مغرورة بجمالها أو مغرورة بثرائها أو مغرورة بمركز عائلتها.. ويدفعها غرورها الى أن تطمع فى رجل آخر أغنى أو أشهر أو أصغر من الرجل الذى فى يدها.. وأنت تسمعين عن سوسو.. انها امرأة جميلة وذكية وقد تزوجت مرة ومرتين وهى الآن مع الزوج الثالث.. والناس كلهم فى انتظار طلاقها لتتزوج الزوج الرابع.. وانظرى الى الشهيرات من نساء العالم.. كثيرات منهن تزوجن أكثر من مرة لأن غرور كل منهن بنفسها أقوى من حرصها على حياتها الزوجية..

وقالت الابنة فى امتعاض

— لابد أن كل زوج من أزواج سوسو كان ينقصه شىء.



وقالت الأم بسرعة :

— أبدا.. لو كان أى زوج ينقصه شىء لما اختارته أصلا.. ان الأزواج يصعبون على أحيانا حتى انى أفكر فى أن أطالب بقانون يحمى الأزواج من الطلاق كما يحمى الزوجات..

وقالت الابنة فى حماس :

— هذا دليل يثبت لك أن الزواج لا يمكن أن يستمر بلا حب..

وقالت الأم بسرعة :

— ليس مجرد الحب ولكنه المشروع الذى يحدده الحب..

وسكتت الابنة كأنها يئست من إقناع أمها ثم قالت

— أى انك توافقين على أن تترك معالى حبيبها بعد كل هذا الحب وكل هذه السنين..

وقالت الأم فى إصرار :

— ان ما فعلته هو عين العقل.. ولو كان حبهما كاملا لوضعا المشروع منذ العام الأول وتزوجا مهما كانت ظروف حبيبها حتى لو عاشا فى فقر إلى أن ينجح المشروع ويحققا النجاح.. خبرينى.. هل فكرت فى المشروع الذى يجمع بينك وبين صديقك عصام..

* * *

وقالت الابنة وهى تجرى من أمام أمها :

— لا وقت عندى للتفكير فى مشاريع .. انى أذاكر..

قالت الابنة وفى عينيها نظرات لوعة وإشفاق:

— ان حالة فردوس تقطع القلب..

وقالت الأم فى دهشة :

— لماذا ؟ ان زوجها ترك لها ما يكفيها وما يوفر لها حياة كاملة طول عمرها..

وقالت الابنة وهى لاتزال مشفقة :

— ما ورثته لا يحل مشكلتها.. ليس المهم أن تضمن حياتها ولكن المهم هو كيف تعيش هذه

الحيـاة ومنـذ توفى زوجهـا وهى تتسـاءل حـائرة. هل تتـزوج أو لا تتزوج؟ ومضت ثلاثة أعوام ولا تستطيع أن تخرج من حيرتها

وقالت الأم وهى لاتزال فى دهشتها

— وماذا يحيرها؟

وقالت الابنة وهى تتنهد

— الأولاد وأنت تعلمين أن زوجها تـرك لها ولدين وبنتا. الولد الاكبر فى الثانية عشرة من عمـره والبنت الصغيرة أصبحت فى الرابعة من عمرها..

وقالت الأم بسرعة:

— الأولاد لا يمكن أن يحرمـوهـا من الـزواج مادامت قـد وجـدت الزوج الذى يرضى بها وبأولادها..

وقالت الابنة وكأنها تلوم أمها

— يامـاما الأولاد لن يحرمـوها ولكنها هـى التى تحرم نفسها من أجل أولادها. وكل أم عندما تفقد الأب يشتـد بها الاحساس بالأمومة وبمسئوليتهـا عن أبنائهـا فتقرر أن تهب نفسها لهؤلاء الأبنـاء بقية عمرها.. ولكنهـا بعد فترة تبدأ تشعر بـالنقص وهى وحيدة. النقص فى مطالبها كإنسـانة وفى وضعها الاجتماعى وبخاصـة إذا كانت أما صغيرة السن كفردوس..

وقالت الأم فى حدة:

— فـردوس يجب أن تتـزوج.. انها لن تستطيع أن تعيش كـراهبـة طـول عمـرهـا وإلا تعقـدت شخصيتهـا وأصبحت امـرأة معقـدة وخير لها أن تتـزوج حتى تحمى نفسهـا من الانحـلال ومن التعرض لجشع الرجال..

وقالت الابنة معترضة

— أبنـاؤها قطعـة منهـا. ومن يهتم بهم وكيف تدبر حياتهم؟



وقالت الأم فى إصرار

— أبناؤها قطعة منها.. ومن يتزوجها سيأخذها كلها بأولادها..

وقالت الابنة وكأنها حائرة كالأم الأرملة:

— ولكن هل تتــزوج الآن أم تنتظـر حتى يكبر أولادهـا وتخف مسئولياتهم عنها..

وقالت الأم فى هدوء:

— تتزوج الآن حتى تعيش الحياة الكاملة..

وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها

— هنـاك رأيان.. رأى يقـول: إن من صالح الأرملـة الشابـة أن تتزوج وأبناؤها صغـار حتى يتربى هؤلاء الأبناء وهم متعودون على أن فى البيت رجلا ليس أباهم والأبناء وهم صغـار لا تكون الأنانية قد تمكنت منهم إلى حد يرفضـون أن تتزوج أمهم ويغارون عليها من أى رجل يدخل عليها حتى لو كانت قد تزوجت هذا الرجل.. ولكن هذا الرأى له ما ينقضه فإن الأبنـاء وهم صغار يحتاجون إلى كل وقت الأم وكل إحساسهـا وكل مسئوليتها.. وكل هذا سيكـون على حساب الزوج إذا تـزوجته.. وستجـد نفسها متحيرة بين احتيـاجات أبنـائها واحتياجات زوجها وتجد نفسها معـرضة دائما لثورة الأولاد أوثورة الزوج عليها.. ولهذا فليس من صالحها أن تتزوج وأولادها صغار..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها ساخرة كأنها لا تقتنع بكلامها

— وما الرأى الثانى.

وقالت الابنة وهى لا تزال تحادث نفسها:

— الرأى الثـانى يقول: ان الأرملـة تستطيع أن تتزوج بعد أن يكبر الأبناء.. بعـد أن يصل الولد الى الجامعـة مثلا أو بعـد أن تتـزوج ابنتها، وفى هـذه الحالـة تكـون مسئوليـة تـربيتهم قـد خفت عنهـا وتستطيع أن تتفـرغ معظم الـوقت للزوج فتسعـده وتسعدهـا. ولكن هـذا الرأى أيضـا له مـا ينقضه.

فإن الأبناء فى هذه الحالة يكونون قد نشأوا وقد تعودوا على أن أمهم لهم.. وحدهم وتسيطر عليهم الأنانية إلى حد أن يحرموا عليها الزواج.. والزوج أيضا لا يستطيع أن يتحمل بسهولة هؤلاء الأبناء الكبار.. انه يحس أنه يعيش مع رجال مثله لا يستطيع أن يقودهم أو يفرض وجوده عليهم لا يستطيع أن يكون وحده «رجل البيت».

وأنت تعرفين خديجة هانم لقد توفى زوجها وترك لها ثلاثة أولاد كبار.. ولم تتزوج وعندما يسألونها لماذا لم تتزوج تقول ضاحكة انها متزوجة من ثلاثة.. أى ثلاثة أزواج .. وهى تقصد أولادها..

وقالت الأم وكأنها بدأت تقتنع بكلام ابنتها .

— وأنت.. ما رأيك.. كيف تختار المرأة الأرملة بين النظرتين؟

وقالت الابنة وهى تتنهد فى حسرة .

— أنا حائرة مثل المسكينة فردوس.. عقلى حائر فى البحث عن نظرية ثالثة لاسعاد الأرامل..

وقالت الأم وكأنها وجدت الحل

— انك تذكرينني بصديقتنا ألفت.. أنت تعلمين أنها ترملت ولها أربعة أبناء أكبرهم فى السادسة عشرة.. وكما هى العادة قررت أن تهب كل حياتها لأبنائها بلا زواج.. ولكنها بعد عام واحد تقدم لها عبدالمقصود.. وهو أيضا أرمل وله ثلاثة أبناء اكبرهم فى العشرين وقد أعجبت ألفت بعبدالمقصود وتمنت أن تتزوجه.. ولكن ماذا تفعل بأولادها وماذا يفعل بأولاده.. وأخيرا تزوجا على أن تبقى هى فى بيتها مع أولادها ويبقى هو فى بيته مع أولاده.. ويلتقيان كلما أراد منهما الآخر.. وأعتقد أن هذا الحل السعيد والوحيد..

وقالت الابنة فى حدة

— هذا ليس حلا.. إن الزواج يفرض المعايشة الكاملة وأن يكون للزوج والزوجة حياة واحدة بكل متطلبات الحياة.. أما ان تلتقى المرأة والرجل كلما



ارادت لقاءه فهذا ليس زواجا انه العشق أى هى معشوقته وهو عشيقها

وقالت الأم بسرعة :

— على الاقل تكون علاقتها شرعية مهما اختلفت عن الحياة الزوجية الكاملة..

وقالت الأم فى سخط :

— حياة العشق لا تحتاج الى الشرعية ولا تحتاج الى مواجهة الناس.. ان الشرعية هى ما تحتاج اليه الحياة الزوجية الطبيعية الكاملة.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى استسلام :

— اسمعى يا ابنتى.. ان الزواج حظ مجرد حظ.. وقد تكون أرملة لها عشرة أبناء أسعد فى زواجها الثانى من عروس تتزوج زواجها الأول.. حظ..

وقالت الابنة وهى تقوم مبتعدة

— الحظ لا يستغنى عن العقل..

وقالت الأم ضاحكة لتخفف عن ابنتها

— وأنت أتعتمدين على حظك أم على عقلك؟

وقالت الابنة وكأنها تهم بالبكاء

— أنا حائرة بين حظى وعقلى..

* * *

قالت الابنة فى قرف :

— لم أعد أدرى كيف تستطيع البنت أن تجد عملا وتعيش عليه وهى مطمئنة..

وقالت الأم وهى تبتسم كأنها تعرف أن ابنتها تحمل خبرا جديدا

— ما آخر أخبارك ؟

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها كأنها تبصق كلماتها

— أخبار سوداء.. ان صديقتي أمينة مضى عليها أيام وهي تبكي وقد قررت أن تترك عملها..

وقالت الأم في لهفة

— لماذا.. ماذا حدث ؟

وقالت الابنة وهي تتنهد في حسرة

— أنت تعلمين أن أمينة تخرجت منذ عامين في معهد السكرتارية بالجامعة الامريكية وكانت دائما أشطر البنات.. لغات تيبرايتر. واختزال كل شيء يجعلها أقدر سكرتيرة. وقد عملت بعد أن تخرجت سكرتيرة للمهندس فؤاد بكر صاحب شركة المقاولات العالمية. وفرحت بعملها . ونجحت.. وأصبح المهندس يعتمد عليها في كل عمله حتى انه صحبها معه إلى الخارج مرتين لمساعدته في انجاز أعماله كسكرتيرة . ولكنها بعد كل هذا النجاح قررت أن تترك العمل .

وقال الأم بلا مبالاة :

— لابد أنه بدأ يطلب منها أشياء خارج اختصاصات السكرتارية.. بدأ يغازلها كما هي العادة..

وقالت الابنة بحدة :

— أبدا .. ليس هو السبب في تركها العمل..

وقالت الأم في حيرة

— ما السبب ؟

وقالت الابنة في غيظ

— زوجته ..

وابتسمت الأم وقالت بلا مبالاة :

— هذا ما يحدث دائما . الزوجة والسكرتيرة.. ان الزوجة تعتبر السكرتيرة ضرتها.. خصوصا إذا كانت سكرتيرة صغيرة وحلوة ورشيقة كصديقتك أمينة

وصرخت الابنة

— لماذا.. لماذا لا تحترم الزوجة عمل زوجها



واحتياجاته الى من يساعده في عمله.. ان رجل الأعمال محتاج إلى سكرتيرة في مكتبه كاحتياجه إلى الزوجة في بيته..

وقال الأم ساخرة :

— ان الزوجة تخشى أن تلطش السكرتيرة زوجها وتتزوجه.. أو أن يصبح للسكرتيرة نفس حقوق الزوجة حتى بلا زواج .

وعادت الابنة تصرخ

— هذا معناه ان الزوجة لا تثق في زوجها.. ومادامت لا تثق به فهو ليس في حاجة إلى سكرتيرة حتى يتزوج عليها او حتى يكون على علاقة بامرأة أخرى غيرها..

وقالت الأم تحاول أن تخفف من صراخ ابنتها

— ربما لم تحاول صديقتك أمينة أن تكسب ثقة وصداقة زوجة صاحب العمل..

وقالت الابنة في غيظ :

— بالعكس.. لقد حاولت أمينة كل ما في استطاعتها.. حاولت إلى درجة أنها كانت تقبل التنازل عن كرامتها.. وقد بدأت العمل وهي تعتقد أنها ليست في حاجة إلى التعرف الى زوجة صاحب العمل.. ليس بينهما ما يتطلب هذه المعرفة.. كل منهما لها اختصاصها وعملها ومجتمعها. ولكن الزوجة جاءت يوما إلى المكتب ورأت أمينة لأول مرة. ومن يومها بدأت البلاوى. أصبحت تتصل بها بالتليفون وتأمرها كأنها خادمتها. قولي للسائق أن يمر على المدرسة ليعود بالأولاد إلى البيت.. اتصلي بالدكتور وحددي لي موعدا معه.. قولي للخياطة انى أنتظرها في البيت.. و.. و.. وبدأت تحشر نفسها حتى في العمل.. من فضلك إبلغيني بمواعيد زوجي حتى أذكره بها.. من قابل زوجي اليوم.. أين ذهب.. و و.. وأمينة تحتمل كل ذلك دون أن تشكو للزوج إلى أن جاءت الزوجة يوما إلى المكتب ووقفت تنظر

إلى أمينة فى حقد.. ثم قالت كأنها تلعنها . هذا ليس ثوبا ترتديه سكرتيرة زوجى. هذا ثوب للنادى أو لكباريه وليس للعمل فى مكتب محترم..

وقالت الأم فى دهشة

— وماذا فعلت أمينة ؟.

وقالت الابنة وهى أشد غيظا

— ضغطت على أعصابها ولم ترد عليها. وفى اليوم التالى ذهبت الى المكتب وهى مرتدية ثوبا قديما يتدلى حتى قدميها، ويكسو ذراعيها حتى معصميها ودخلت على رئيسها المهندس فؤاد فصرخ فى وجهها . ماذا فعلت فى نفسك.. ما هذا الثوب القبيح الذى ترتدينه.. وقالت له فى هدوء.. هذه أوامر الست زوجتك..

وقالت الأم من خلال دهشتها .

— وماذا فعل الزوج ؟.

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى .

— بدأت الخناقات بينه وبين زوجته.. وبدأت الزوجة تصب حقدها على أمينة.. إلى أن اضطرت أخيرا إلى أن تستقيل وتعيش أيامها وهى تبكى..

وقالت الأم فى هدوء :

— هذا هو ما يحدث دائما بين الزوجات والسكرتيرات.. وقد قرأت منذ سنوات طويلة قصة لاحسان عبدالقدوس بعنوان «الزوجة والسكرتيرة» يحكى فيها نفس الحكاية..

وقالت الأم فى قرف

— اننى اعرف زوجا تغلب على هذه المشكلة بأن عين فى مكتبه خمس سكرتيرات حتى تتوه زوجته بينهن ولا تستطيع أن تصب حقدها على واحدة..

وقالت الأم ساخرة :



— وأنا أعرف زوجة تغلبت على المشكلة واستطاعت أن تعيش مطمئنة. لقد أقنعت زوجها بأن تكون سكرتيرته ابنة أخيها وعندما تزوجت ابنة الأخ وتركت العمل وضعت مكانها ابنة أختها وهكذا تعيش مطمئنة من الشك فى السكرتيرات.

وقالت الابنة ثائرة :

— هذا ليس حلا .

وقالت الأم وهى تتجه إلى المطبخ:

— المهم أن تقتنعى بألا تكونى سكرتيرة لأحد بعد تخرجك.

وصرخت الابنة..

— بالعكس.. سأكون سكرتيرة حتى أربى الزوجات وأجبرهن على احترام السكرتيرات..

قالت الابنة وبين شفتيها ابتسامة مرة :

— ماما.. ما هو المثل الذى يقولونه عن السلايف ..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى استنكار :

— ماذا يذكرك بالسلايف الآن ؟!

وقالت الابنة فى مرارة :

— حكاية صديقتى منيرة مع سلفتها فريدة .

وقالت الأم وهى تمسك بإبرة التريكو كأنها تستعد لسماع حكاية طويلة تتسلى بها ..

— ما هى حكاية صديقتك ؟

وجلست الابنة بجانب أمها وهى تتنهد كأنها تتحسر على حال الدنيا وبدأت تحكى ..

— لقد كانت منيرة تحب فتحى وكان ما يؤجل زواجهما هو البحث عن شقة وكان من المستحيل أن يجد شقة. فقبلت منيرة الزواج على أن تقيم مع حبيبها فى شقة عائلته مع أمه وأبيه إلى أن يفتح الله عليهما ويجدا شقة.. ولكن المشكلة ان ابراهيم أخا

فتحى يقيم أيضا مع العائلة وهو متزوج من فريدة. ولكن الشقة واسعة.. بها ثلاث غرف للنوم غير الصالة وغرفة الاستقبال.. غرفة للأم والأب.. وغرفة لابراهيم وزوجته.. وغرفة لفتحى ومنيرة. واضطرت منيرة أن تقبل الحياة مع سلفتها خصوصا انها قريبة من عمرها.. اكبر منها بعامين. وقد تعرفت بها قبل أن يتم الزواج ووجدتها رقيقة ومهذبة فادعت كل منهما أنها أصبحت صديقة للأخرى.. وما كاد الزواج يتم حتى بدات المصائب.. ويا داهية دقى

وقالت الأم وهى ترفع عينيها عن ابرة التريكو :

— ماذا حدث كفى الله الشر ؟.

وقالت الابنة فى عصبية

— وحتى قبل أن تنتقل منيرة لتعيش مع سلفتها بدات المصائب.. فإن زوجها فتحى قرر أن يؤسس ديكورا جديدا كاملا للغرفة المخصصة له ولزوجته.. وأدخل فى هذه الغرفة حوضا وحنفية ماء خاصة حتى يغنى زوجته ويغنى نفسه عن استعمال حوض العائلة.. وأكثر من ذلك.. لقد اشترى ثلاجة خاصة ووضعها فى الغرفة.. ويا داهية دقى.. غارت فريدة من منيرة.. وهى تريد هى الأخرى حوضا وثلاجة فى غرفتها وحاول زوجها أن يقنعها بانهما ليسا فى حاجة إلى الحوض والثلاجة.. ان لوازم البيت تكفيهما خصوصا أن فتحى ومنيرة لن يكونا فى حاجة الى حوض العائلة ولا ثلاجة العائلة.. ولكن فريدة أصرت.. وبدأت خناقات تشترك فيها العائلة كلها.. إلى أن اضطر ابراهيم أخيرا أن يشترى ثلاجة لفريدة وإن كان لم يشتر الحوض..

وقالت الأم وهى تبتسم فى هدوء :

— فريدة لها حق يا إبنتى.. مادام يمكن أن يكون لها ثلاجة خاصة فلماذا لا تطالب بها ؟.

وصرخت الابنة



— لقد أصبح فى البيت ثلاث ثلاجات.. وطبعا كل منهما تريد أن تملأ ثلاجتها أكثر من الأخرى.. هذه فوضى السلايب.. وهناك ما هو أكثر من ذلك.. ان أفراد عائلة منيرة كانوا يكثرون من زيارتها. كل يوم يزدحم البيت بأخوتها وبنات عمها و و . وكانوا طبعا يجلسون فى غرفة الصالون.. وإذا بفريدة تعلن الثورة.. من مصلك يامنيرة خذى أهلك فى غرفتك لانى لا أستطيع أن أتحرك أمامهم وانا بثياب البيت وقامت صحة أخرى فإن الأب هو المسئول عن مشتريات البيت حتى يترك ولديه يدخران ما يكسبان . وكان هو الذى يشترى بنفسه كل شىء.. وفى كل صباح يجلس مع كل أفراد العائلة على مائدة الافطار ويسأل.. ماذا تريدون اليوم فتقول منيرة . نفسى ياعمى فى الخرشوف وسأطهوه بنفسى. انى مشهورة بطبخة الخرشوف.. فترد فريدة.. أنا لا أطيق الخرشوف.. واليوم أريد سبانخ.. وتقوم خناقة . حتى ان منيرة أصبحت تخرج من البيت كل صباح مع زوجها وتذهب وتبقى فى بيت أهلها إلى أن يعود إليها زوجها ويأخذها إلى غرفتهما..

وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها

— مسكينة

وقالت الابنة فى فرح

— لقد وجدا أخيرا شقة لهما وحدهما

وقالت الأم فى فرح :

— الحمدلله.. لقد انتهت المشكلة.. وعادت الابنة تصرخ..

— أبدا.. لم تنته.. ان أم فتحى سيدة عجوز وقد بدات فى توزيع مصاغها على زوجتى ولديها.. بالتقسيط .. كل عدة شهور.. تعطى هذه سوارا وتلك خاتما.. وهكذا واشتد الصراخ.. ماذا أعطت لمنيرة وماذا أعطت لفريدة..

وقالت الأم وهى تتنهد فى أسى :
— على رأى المثل الذى سألتنى عنه.. مركب الضراير سارت ومركب السلايف غارت..
وقالت الابنة فى حيرة .
— وكيف تنقذ مركب السلايف قبل أن تغور ؟.
وقالت الأم فى هدوء :
— انها مشكلة تعتمد على شخصية كل من السلفتين.. كل منهما تحب أن تكون لها شخصية مستقلة قوية . وتفرض استقلالها على كل نواحى الحياة.. فلا تنظر الى حياة سلفتها ولا تقارن نفسها بها. كل واحدة منهما مكتفية بنصيبها.. راضية عن نفسها.. وتعمل لمستقبلها ومستقبل أولادها هى.. بصرف النظر عن مستقبل سلفتها وأولادها..
وقالت الابنة فى غيظ :
—كل المصائب التى تحدث بين أولاد العم سببها السلايف..
وقالت الأم وهى تخفف عن ابنتها بابتسامتها:
— إحمدى ربنا لأن ليس لأمك سلفة..
وقالت الابنة فى أسى :
— وليس لى أولاد عم .. ياحسرة..
قالت الأم فى صوت حزين :

* * *

— كانت عندى شفيقة هانم وقضيت معها النهار كله فى بكاء..
وقالت الابنة فى لهفة
— لماذا.. كفى الله الشر ؟!
وقالت الأم وهى تتنهد :
— لقد سافرت ابنتها عزيزة إلى لندن. وحدها
وقالت الابنة وقد أفاقت من لهفتها..
— وماذا لو سافرت وحدها.. أصبح من حق



البنت الآن أن تسافر وحدها كالولد.. وقد سبق أن قلت لك ان عقلية الأهل يجب أن تتطور.. ويجب أن يفهموا أن ما تستطيع البنت أن تفعله فى لندن تستطيع أن تفعله فى القاهرة.. وما تستطيع ان تفعله هى وحدها تستطيع أن تفعله وهى بين مائة حارس ورقيب..
وقالت الأم فى حسرة
— ليس المهم ما تفعله عزيزة فى لندن.. ان شفيقة هانم تعتقد أن ابنتها لن تعود..
وقالت الابنة فى دهشة
— لماذا .. هل هاجرت الى هناك.. هل أحبت رجلا من هناك وهربت إليه لتتزوجه.. أم وجدت هناك عملا يضمن لها الحياة؟!
وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها
— أبدا .. وأنت تعلمين أن عزيزة ليست ابنة شفيقة.. ان شفيقة لا تنجب.. وكانت عزيزة ابنة إحدى نساء القرية فأخذتها شفيقة لتربيها وتشبع بها نقص الأمومة الذى تعانيه.. أى أن شفيقة تبنت عزيزة.. ولكنها ظلت محتفظة لها باسم عائلتها.. وكانت تسمح لأمها وأبيها وأخوتها بزيارتها كل عام مرة أو مرتين.. بل ان شفيقة كانت تدفع معونات لأهل عزيزة وفى الوقت نفسه لم تكن تبخل على عزيزة بشىء.. بل انها اعتبرتها كأنها ابنتها فعلا. وأدخلتها مدرسة الليسيه وكانت تقدمها للناس على انها ابنتها رغم أن كل الناس يعلمون أنها ليست ابنتها..

وقالت الابنة بلا مبالاة
— هذا أمر طبيعى يحدث كثيرا..
وقالت الأم فى حدة
— ان عزيزة هى التى ليست طبيعية.. انها عنيدة.. مجنونة.. ليست وش نعمة..
وعادت الابنة الى لهفتها تتساءل

— لماذا ؟
وقالت الأم وهى أكثر حدة :
— لقد كانت تتشاجر دائما خصوصا مع زوج شفيقة هانم.. أى مع ابيها بالتبنى. ان تعليمها جعلها تعطى لنفسها كل الحرية. وتسىء استعمال هذه الحرية. وزوج شفيقة رجل محافظ لا يطيق أن يضم إلى بيته فتاة حرة. وكانت عزيزة فى كل خناقة تفر وتذهب الى أهلها فى القرية..
وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها امتعاضا
— ولماذا لم يتخليا عنها ويتركاها لاهلها ؟..
وقالت الأم فى غيظ
ان عزيزة نفسها لم تكن تطيق أن تبقى طويلا مع أهلها.. طبعا.. بعد أن تعلمت وعاشت فى العز وذاقت النعمة لم تكن تستطيع ان تنتقل لتعيش فى الجهل والفقر. وأهلها انفسهم كانوا لا يريدون ان يحرموا من البقشيش الذى يحصلون عليه. فكانت عزيزة تعود وتفرح شفيقة وزوجها بعودتها لانهما يحبانها وتعود الخناقات من جديد إلى أن كبرت عزيزة وأصبحت الآن فى التاسعة عشرة من عمرها.. وبينما شفيقة تبحث عن عريس لها.. إذا بعزيزة تفاجئها بأنها قررت ان تسافر إلى لندن. واستطاعت ان تسافر فعلا دون أى مساعدة من احد
وقالت الابنة فى دهشة
وحتى بلا كلمة شكر ؟
وقالت الأم فى حسرة
— لقد ارسلت لشفيقة خطابا من لندن كله حب وعرفان بالجميل ولكنها تقول انها لن تعود إلا بعد أن تبنى حياتها وتستقر هناك.. أى تعود لمجرد الزيارة..
وقالت الابنة بعد أن فكرت برهة



ان التبنى قام على أساس خاطىء.. التبنى لا يكون كاملا إلا لطفل لا أهل له.. طفل من ملجأ.. ويجب أن يبدأ والطفل فى عامه الأول وهو غير متأثر بأصله يكبر وكل احساسه مع المرأة والرجل اللذين تبنياه انهما امه وأبوه كما أنه ابنهما. وبهذا يتم الارتباط العائلى.
وقالت الأم ساخطة
— ما الحاجة الى التبنى.. ان صديقتى فهيمة هانم لم تنجب ولم تتبن. وهى تجمع حولها كل بنات وأولاد أخوتها وتدعوهم ليقضوا معها أوقات الفراغ تشترى لهم الهدايا وتلعب معهم وبهم تحبهم كأنهم كلهم أولادها.. وهو حب يخفف عنها نقص الأمومة..
وقالت الابنة وكأنها تشفق على فهيمة هانم
— ولكن ينقصها من يناديها ماما.. ماما.. هل يمكن أن تستغنى أنت عن لقب ماما؟
وقالت الأم فى إصرار :
— هل تسمعين عن فاطمة هانم التى أسست ملجأ الأيتام.. انها عاقر ولم تنجب.. وقد أسست هذا الملجأ لتشبع غريزة الأمومة فيها.. انها الآن أم لعشرات الأبناء وكلهم ينادونها ماما..
وقالت الابنة مبتسمة ابتسامة حلوة
— ان لقب ماما يصبح فى هذه الحالة أشبه بالألقاب التى تمنحها الدولة عرفانا بالجميل.. ولكنى أسمع عن حالة أخرى.. حالة طنط بهية وزوجها.. انهما لم ينجبا. وتقول بهية. إن غريزة أمومتها قد أعطتها لزوجها.. فهو زوجها وابنها.. وزوجها يقول. إن بهية هى زوجته وابنته.. وهى تناديه.. بابا.. وهو يناديها. ماما.. وهذا هو منتهى الحب.. حب أقوى من كل نقص
وقالت الأم كأنها لم تفق من حسرتها

— الأمومة غريزة وليست مجرد حب..

وسكتت الابنة برهة ثم قالت فى جزع

— ماما .. كيف اتأكد انى سأنجب ؟!

وقفزت الأم واقفة وقالت فى حدة وهى تبتعد

— ليس هذا وقت هذا السؤال !!

* * *

قالت الابنة فى صوت يقطر حسرة

— ان بهيجة أخت صديقتى سميرة فى حالة تقطع القلب وتصعب على الكافر

وقالت الأم بلا اهتمام :

— لماذا .. ماذا حدث لها ؟

وقالت الابنة فى أسى :

— انها تحب ولا تدرى مصير هذا الحب..

وقالت الأم ساخرة :

— كما هى العادة.. تريد أن تتزوج حبيبها وهو يراوغها

وقالت الابنة فى حدة :

— أبدا.. هى التى تراوغه.. لا تستطيع أن تقرر أتتزوجه أم لا تتزوجه؟!

وقالت الأم فى قرف

— كيف تراوغ حبيبها.. ان الحب لا يحتمل المراوغة.. إلا إذا كان لحبيبها عيوب تجعلها تتردد فى الزواج..

وقالت الابنة فى صوت ساهم :

— ان العيب فيها ..

وقالت الأم فى دهشة

— ما عيبها ؟

وقالت الابنة وهى ساهمة

— انها أكبر منه

وقالت الأم وهى أكثر دهشة



— هل هى أكبر منه بكثير ؟

وقالت الابنة فى حسرة .

— انها أكبر منه بست سنوات.. هى الآن فى السادسة والثلاثين وهو فى الثلاثين..

وخبطت الأم على صدرها كأنها تصد صدمة..

— ياخبر.. ألم تكن تعرف انها أكبر منه قبل أن تحبه؟

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— أنت تعلمين أن بهيجة كانت قد خطبت بعد أن تخرجت فى الجامعة.. كانت أيامها فى الثانية والعشرين.. واستمرت الخطبة أكثر من ثلاث سنوات لأن خاطبها كان يعمل فى الكويت وكان فى انتظار أن ينجح هناك ليقيما بيتا كاملا للزوجية.. ولكنها صدمت فى خاطبها.. خان الحب وخان العهد وتزوج فتاة أخرى.. ومن يومها قررت بهيجة الا تتزوج.. أن تعيش وحيدة العمر كله.. ولكنها بعد سنوات طويلة التقت بعباس..

وعندما بدأت تحس أن هذا اللقاء يتطور إلى حب حاولت أن تقاومه.. لم تبتعد عنه.. ولكنها أخذت تتردد على عائلته وتصادق أمه وأخوته حتى تجعل من علاقتها بعباس مجرد صداقة. ولكنها أحبت عائلته.. والعائلة أحبتها.. وازدادت ارتباطا بعباس حتى تصارحا بالحب.. ووقعت فى الحيرة.. حيرة تعيش فيها منذ عامين..

وقالت الأم وهى تنظر الى ابنتها كأنها تجرى معها تحقيقا

— هل يعلم عباس أن بهيجة أكبر منه بست سنوات.. انها فى عمر يمكن أن يفضح نفسه.. ربما كان يظن انها أصغر منه أو فى مثل عمره..

وقالت الابنة وهى فى حسرتها

— انها لا تدرى أهو يعلم حقيقة عمرها أم لا يعلم.. انهما لم يفتحا أبدا سيرة العمر.. ربما

يعرف عمرها أو ربما يعرف ويسكت..

وبهيجة لم تعد تحتفل بعيد ميلادها حتى لا تثير موضوع العمر..

وقالت الأم في سخط :

— على كل حال يجب أن ترفض بهيجة الزواج من عباس..

وصرخت الابنة :

— لماذا لماذا تضحي بالحب وتضحي بسعادة ما بقي من عمرها..

وقالت الأم محتدة

— لأن الطبيعة تفرض على المرأة ألا تتزوج من هو أصغر منها وتفرض على الرجل ألا يتزوج من هي أكبر منه..

وعادت الابنة تصرخ .

— هذا كلام قديم.. لقد ثبت علميا انه ليس هناك فارق بين طبيعة الأنثى وطبيعة الذكر.. وإذا كان الرجل وهو في الستين يستطيع أن يتزوج فتاة في العشرين فلماذا لا يكون من حق المرأة وهي في السادسة والثلاثين أن تتزوج رجلا في الثلاثين . اننا في عصر المساواة ياماما.. المساواة في كل شيء..

ونظرت الأم الى ابنتها وهي تبتسم ساخرة وقالت

— مهما قال علماء هذه الأيام.. فالحقيقة التي يجب أن تعترف بها هي أن المرأة تشيخ قبل الرجل.. ولهذا فمن صالح المرأة أن تتزوج رجلا أكبر منها حتى يبقى الاثنان في مستوى واحد العمر كله.. وتصوري صديقتك بهيجة بعد عشر أو عشرين سنة.. ستكون عجوزا تفقد كل مؤهلات انوثتها بينما يكون زوجها لايزال محتفظا بكل مؤهلات رجولته.. فكيف يكون الحال.. هل تتركه ليتزوج امرأة أخرى أصغر منها..

وقالت الابنة في قرف

— ياماما الزواج لا يقوم على مؤهلات الانوثة..



اقصد المؤهلات الجنسية . ان الزواج عشرة.. حياة.. الأولاد.. البيت المجتمع.. ثم ان صديقتك فريدة هانم متزوجة من رجل أصغر منها بسنوات.. كلنا يعرف هذا وهما في منتهى السعادة

وقالت الأم وهي تنظر إلى ابنتها كأنها تتهمها بالعبط..

— ان فريدة تزوجت من هو أصغر منها لانها امرأة غنية وتستطيع أن تعتمد على نفسها مهما تغير حال زوجها وربما كان زوجها لم يتزوجها إلا لانها غنية.. وانظري الى كل نساء العالم اللائي يتزوجن شبابا أصغر منهن.. كل منهن إما غنية وإما مشهورة وإما صاحبة منصب كبير.. والشاب يتزوج الغنى أو الشهرة أو المنصب..

وقالت الابنة غاضبة :

— هذا كلام فاضي.. لقد نصحت بهيجة بأن تتزوج «عباس».. هذا أفضل وأشرف من أن تعاشره بلا زواج.. ومهما حدث فقد نالت السعادة حتى لو كانت سعادة بضع سنوات تعوضها عن حرمان العمر كله.

وقالت الأم وهي لاتزال ساخرة

— كم عمر صديقك عصام ؟

وقالت الابنة وهي تهم بالخروج من الغرفة

— انه أكبر مني بعامين.

وقالت الأم ساخرة

— هذا لا يكفي.. يجب الا يقل فارق السن عن عشر سنوات

وقالت الابنة في قرف وهي تجرى مبتعدة

— حاضر ياماما.. سأطلب منه أن يشيخ عشر سنوات تكفيه جلستين معك ويشيخ

* * *

قالت الأم كأنها قرفانة

— هل سمعت آخر أخبار مديحة ؟

وقالت الابنة فى لهفة

— خير.. ما آخر الأخبار ؟

وقالت الأم وهى لاتزال قرفانة..

— تقدم لها رجل ليخطبها لم تكن تحلم بنصفه ولا حتى بظفر رجله. انه غنى.. انه مليونير. يملك عمارتين . واحدة فى الدقى والثانية فى الزمالك.. ويملك فيلا فى مدينة المهندسين يقال انه يؤجرها مفروشة لاحدى السفارات بإيجار شهرى يبلغ ألفى جنيه.. كل شهر ألفان من الجنيهات وهو بجانب كل هذا أستاذ فى الجامعة..

وقالت الابنة فى فرح :

— الحمدلله .. لقد عوضها الله عن مصيبتها فى الحب الذى عاشت فيه ثلاث سنوات ثم تخلى عنها حبيبها وتركها بعد أن عصر قلبها لتعيش بلا قلب.

وقالت الأم فى غيظ :

— ان مديحة ترفض الموافقة على هذا الرجل الذى تقدم لها..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لا يمكن.. مستحيل.. انى أعرف أن مديحة قد كفرت بحبها القديم وتخلصت من آمالها وأحلامها التى يمكن أن تدفعها الى التمسك بهذا الحب حتى ترفض من يتقدم لها..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— ليس الحب هو السبب..

وقالت الابنة فى لهفة :

— إذن لماذا لا تريد هذا الرجل ؟

وقالت الأم وهى أشد قرفا

— انها تقول انه رجل ليس جميلا ولا وسيما.. بالعكس.. انه قصير تخين وله كرش وليس له عنق كأن راسه ملصوق بكتفيه..

وقالت الابنة وهى تهز كتفيها بلا مبالاة



— الجمال والوسامة ليسا من مميزات الرجل.. الرجل يختلف عن المرأة.. فلا تزال شخصية المرأة ترتبط بنسبة جمالها ونسبة الاغراء فى انوثتها.. أما شخصية الرجل فلا ترتبط بشكله ولا بجماله.

وقالت الأم ساخرة

— على ماذا تعتمد شخصية الرجل يا أيتها الفيلسوفة فى علم الرجال؟!

وقالت الابنة وهى جادة دون أن تهتم بسخرية أمها

— ان شخصية الرجل تقوم على مدى قوة هذه الشخصية.. قد يكون الرجل وسيما.. رشيقا.. أنيقا.. ولكنه بلا شخصية.. فتضيع وسامته ورشاقته وأناقته بعد لحظات من الجلوس إليه ولا تصبح له قيمة إلا كقيمة العروس من الحلوى.. مظهر بلا نبض.. تمثال بلا حياة ومن تتزوج مثل هذا الرجل ولمجرد أنه وسيم تعيش محرومة طول حياتها.. محرومة من الشخصية التى تبهرها وتشدها إليها.. وقد لا يكون الرجل وسيما ولا رشيقا ولا أنيقا ولكنه يمتاز بشخصية قوية وبعد لحظات من جلوسك إليه تنسين شكله وتعيشين مبهورة بهذه الشخصية القوية وقد تقعين فى حبه

وقالت الأم وكأنها تأثرت بمنطق ابنتها

— وكيف نكشف شخصية الرجل ؟

وقالت الابنة كأنها تلقى درسا على أمها

— إن أهم عنصر من عناصر الشخصية هو النجاح.. ان يكون الرجل ناجحا.. عاملا ناجحا.. أو موظفا ناجحا.. أو فنانا ناجحا.. أو.. أو.. أن جاكلين كيندى تزوجت أوناسيس رغم أن شكله بشع ورغم أنه عجوز.. لماذا تزوجته ؟ لانه ناجح . نجاحه هو الذى أغراها وجذبها حتى تزوجته وجمال عبدالناصر عندما ظهر رأته النساء ليس وسيما.. أنفه كمنقار الصقر.. وصوته مبرسع

وجاد إلى درجة ثقل الدم.. ولكنه بعد أن نجح وفرض زعـامته أصبح لدى البنـات والنساء الرجل الأمثل.. وزينـة الرجـال.. وتمنته كل بنت لنفسهـا.. لماذا؟.. لأن نجـاحـه أظهـــر قـوة شخصيتـه.. والمرحـوم عبدالحليم حافظ.. لم يكن فى منتهى الوسـامة.. وكان نحيلا قصيرا.. وكـان مريضـا.. ورغم ذلك فإن نجـاحـه كفنـان فرض شخصيتـه وأصبح معبـود البنات والنســاء.. والأمثلـة كثيرة.. وإن كانت هنـاك عناصر أخرى تفرض قوة الشخصية..

وقالت الأم فى لهفة وهى جالسة كتلميذة أمام ابنتها:

— مثل ماذا ؟

وقالت الابنة فى لهجة الأستاذة :

— مثل غرابة الشخصية.. ان البنـات فى باريس وفى عواصم أوربا وأمـريكا يـذبن صبابـة فى الـرجال الـزنوج.. أنف أفطس.. وشفـاه غليظة.. وشعـر أكرت.. ولـون كظلام الليل.. ورغم ذلك تـذوب فى هذا الـرجل فتاة جميلـة.. رائعـة.. وغالبـا مـا تكون شقـراء.. وتتمنى أن تتـزوجـه.. لماذا؟.. لأنـــه يقـدم لها شخصيـة غـريبـــة تختلف عن الشخصية التى تعودتها.. فتقدم على التجـربة.. على المغامرة.. المهم.. أن الجمال والوسامة ليسا شرطين من شروط الرجولة..

وقالت الأم كأنها شبعت من هذه المحاضرات :

— الحقيقـة انى وافقت أولا على أن تتزوج مـديحة هذا الـرجل..

انه رجل ناجح.. كل هذا الغنى بجانب انه أستاذ فى الجامعـة.. لاشك انـــه رجل نـاجح.. ولكنـى عـدت وبدأت أتـردد فى الموافقة.. وتـذكرت المثـل القائل.. «ياواخد القرد على مـاله. يضيع المال ويفضل القرد على حاله»..

وقالت الابنة فى حدة :

— يجب أن تتأكد مديحة أن الـرجل ليس قردا.. أو على الأصح تتخلص من إحساسها بأنه قرد..



وقالت الأم فى لهفة :

— كيف ؟

وقالت الابنة فى إصرار :

— بأن تعرفه جيدا وتختلط بـه قبل إعلان الخطبة حتى تعيش فى شخصيته لا فى شكله..

وقالت الأم كأن أملها خاب فى منطق ابنتها:

— هذا مـا حدث.. انها تخرج معه كثيرا.. وقـد صحبها الى محال لم تكن حـالتهـا المالية تسمح لها بـأن تحلم بدخـولها.. صحبهـا الى العشـاء فى الشيراتـــون.. وإلى الغـداء فى الهيلتـــون.. وراقصهـا فى ميناهاوس.. ورغم ذلك لاتزال مديحة مترددة..

وقالت الابنة وهى تقوم لتبتعد :

— مـادامت مترددة فستقبلـه وتتـزوجه.. لـو كـانت سترفضـه لرفضته بلا تردد..

وقالت الأم كأنها تستجدى ابنتها :

— ضعى نفسك مكانها .. ماذا كنت تفعلين ؟؟

وقالت الابنة وهى تجرى خارج الغرفة .

ليس فى حياتى قرود

* * *

قالت الام فى صوت متهالك كأنها تستجدى ابنتها :

— يـا ابنتى حيرتنى بحكايتك مع صـديقك عصـام .. مرة أجـدك

فـرحـة والسعادة تنتط على وجهك .. مـرة أجـدك صامتة مكتئبة ودمك ثقيـلا .. وأنا أعلم كما أقول لك دائما أن سعـادتك وشقاءك مـرتبطان بأحـوالك مع عصام .. فطمأنينى .. ما هى أحوالك معه اليوم ..

وقالت الابنة وهى تـرخى عينيها بعيدا عن عينى أمها .

— لا شىء جديد ..

وقالت الأم فى عصبية :

— لا أصدقك .. أنك تخفين عنى شيئا .. لقد مضى الآن أسبوعان وعصام لا يأتى ليذاكر معك بعد أن كان يأتى كل يوم .. للمذاكرة طبعا..

وقالت الابنة وهى تزفر أنفاسها :

— لقد قررنا أن يذاكر كل منا وحده .. بعيدا عن الآخر ..

وقالت الأم كأنها تصرخ :

— بعد كل هذه الضجة التى دوشت بها رءوسنا حتى يسمح له أبوك بالتردد على البيت والمذاكرة معك تعودين للمذاكرة وحدك ..

ورفعت الابنة عينيها إلى أمها وقالت فى حدة :

— يا ماما إن كل ما بينى وبين عصام قد انتهى ..

وقالت الأم ساخرة وكأنها لم تفاجأ :

— لقد سبق أن انتهى ما بينكما يوما .. ثم عاد كل منكما إلى الآخر.

وقالت الابنة فى صوت حاسم :

— هذه المرة .. لا عودة ..

وقالت الأم وقد بدأت تصدق ابنتها :

— لماذا لا عودة ؟!

وقالت الابنة وكأنها تحادث نفسها :

— لأن حب الجامعة لا يمكن أن يدوم ..

وقالت الأم فى دهشة :

— ماذا تقصدين بحب الجامعة ؟!

وقالت الابنة وهى لا تزال تحادث نفسها :

— أقصد الحب الذى يبدأ بالزمالة ..

وقالت الأم وهى لا تزال فى دهشتها :

— ولماذا لا يدوم ؟!

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— لأن مطالب الحب تتعارض مع مطالب الزمالة..

وقالت الأم فى حيرة :

— لا أفهمك .. ماذا تريدين أن تقولى ؟

وقالت الابنة فى إصرار :

— أريد أن أقول : إن كلا منا زهق من الآخر .. إنى ألتقى بعصام كل صباح فى الكلية ثم نقضى اليوم كله وعيناه علىّ وعيناى عليه .. وكل منا يضع الآخر فى قفص الاتهام ويبدأ التحقيق معه .. من ابتسمت له.. ومن تحدثت إليه .. ولماذا ذهبت إلى المعيد .. و.. و.. وأنا أيضا لا أرحمه.. لماذا كان يضحك مع زملائه .. وماذا كان يقول لزميلتنا سعدية .. و.. و.. أن عصام يتصور أنى إذا كنت قد أحببته وهو زميلى فقد أحب أى زميل آخر.. وأنا أيضا أتصور أحيانا أنه ما دام عصام قد استطاع أن يشدنى إلى الحب فقد يشد غيرى.. وبخاصة أنى لست أجمل بنات الجامعة ولا أشطرهن ..

وقالت الأم وهى تحاول أن تخفف على ابنتها :

— يا ابنتى كل هذا من طبيعة الحب .. والحب يعيش دائما فى حالة غيرة مستقرة .. يغار عليك وتغارين عليه .. والغيرة هى حالة دفاع عن النفس .. أى دفاع عن الحب ..

وقالت الابنة فى إصرار :

— ولكن الزمالة تجعل كلا من المحبين رقيبا على الآخر .. حالة رقابة مستمرة .. وتشتد الغيرة حتى تصبح لا تطاق .. لا أطيق غيرته على ولا أطيق أيضا غيرتى عليه .. إنى أحيانا أتعمد عدم الذهاب إلى الكلية ..

وقالت الأم مبتسمة :

— حتى ترتاحى من عصام ؟

وقالت الابنة وهى ساهمة :

— وأكثر من ذلك .. حتى أشتاق إليه .. أن حبنا محروم من نعمة الشوق .. أنى أراه كل يوم حتى

اختفى الشوق وحل محله الزهق.. كل منا زهقان من الآخر ..

وقالت الأم وهى لا تزال مبتسمة :

— أنك تذكرينني بحديث طويل كنا نتسلى به منذ أيام .. كنا نتساءل .. هل زواج الزملاء فى العمل يعتبر زواجا سعيدا ؟!

وقالت الابنة فى لهفة :

— وماذا كان رأيكن ؟

وقالت الأم فى هدوء :

— كان رأينا أن زواج زملاء العمل معرض دائما للفشل .. أن الزوج والزوجة يكونان معا فى البيت وفى مكان العمل .. فيحرمان من أجمل ما فى الحياة الزوجية .. وهى عودة الزوج إلى البيت .. هو يسرع إليها وهى فى انتظاره .. والشوق ينبض فى صدر كل منهما .. وفرحة عودة الزوج إلى البيت كل يوم فرحة لا تنتهى .. ولو كان كل منهما فى عمل منفصل عن الآخر .. أى لو تزوجت المحامية من مهندس .. والفنانة من دكتور .. والصحفية من رجل أعمال.. فى هذه الحالة يكون الزواج أقدر على إسعاد الزوجين .. لأن كلا منهما لا يحرم من الشوق إلى الآخر .. ولأن كلا منهما يستطيع أن يعيش فى موضوع آخر غير موضوع عمله .. أى أن كلا منهما يعيش فى دنيتين .. دنيا عمل الزوجة ودنيا عمل الزوج .. بدل أن يعيشا فى دنيا عمل واحد فلا يجدان شيئا جديدا فى حديث كل منهما للآخر ..

وقالت الابنة ساخطة :

— إن زواج الزملاء يذكرنى بزواج الأقارب ..

وقالت الأم ضاحكة :

— إن زواج الأقارب أصبح محرما طبيا لتأثيره الضار على الإنجاب .. ويجب أن يحرم زواج الزملاء أيضا لتأثيره النفسى الضار الذى يؤدى إلى تعقيد نفسية الزوجة ونفسية الزوج ..

وقالت الابنة فى أسى

— المشكلة تبدأ بالحب قبل الزواج .. يجب أن تقاوم البنات أن يقعن فى حب أحد من الزملاء .. وقد قاومت الحب حتى تخلصت نهائيا من حب عصام .. وسأقاوم دائما .. لن أستسلم للحب مرة ثانية ..

قالت الأم ضاحكة :

— إن حبك الأول ليس حبك الأخير .. بل إن حبك الأخير هو حبك الأول .. هكذا تقول قصة الوسادة الخالية ..

وصاحت الابنة :

— لا .. أنا مختلفة مع إحسان عبد القدوس .. وسيكون حبى الأول هو حبى الأخير .. خلاص .. حرمت الحب ..

وقالت الأم ضاحكة :

— أنا لست مختلفة مع إحسان .. وبكره نشوف !..

رقم الايداع ١١٦٣٥ / ٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 08 - 564 - 5